



سلسلة دراسات :
في العقيدة القبطية الأرثوذكسية (٧٦)



وأردت أن تجدره



تقديم
الأببا موسى
الأسقف العام للشباب

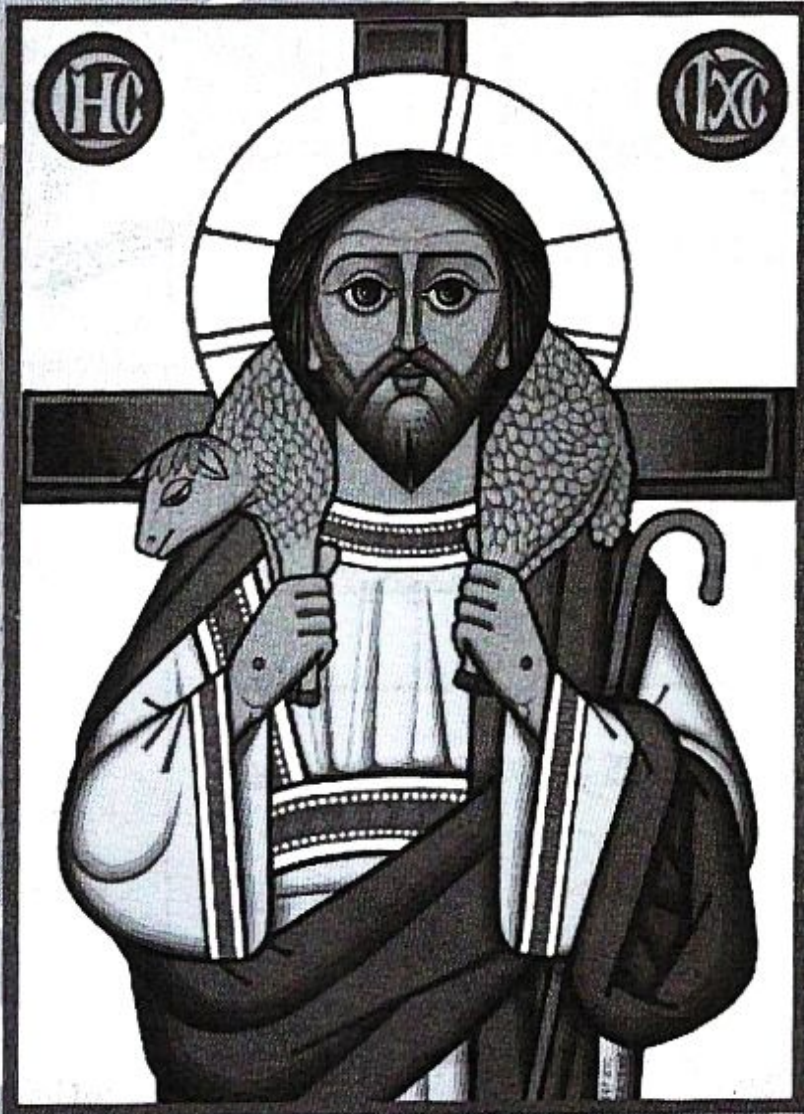
تأليف
الأببا رافائيل
الأسقف العام



سلسلة دراسات :
في العقيدة القبطية الأرثوذكسية (٧٦)



وأردت أن تجدره



تقديم
الأببا موسى
الأسقف العام للشباب

تأليف
الأببا رافائيل
الأسقف العام



الصفحة الإدارية

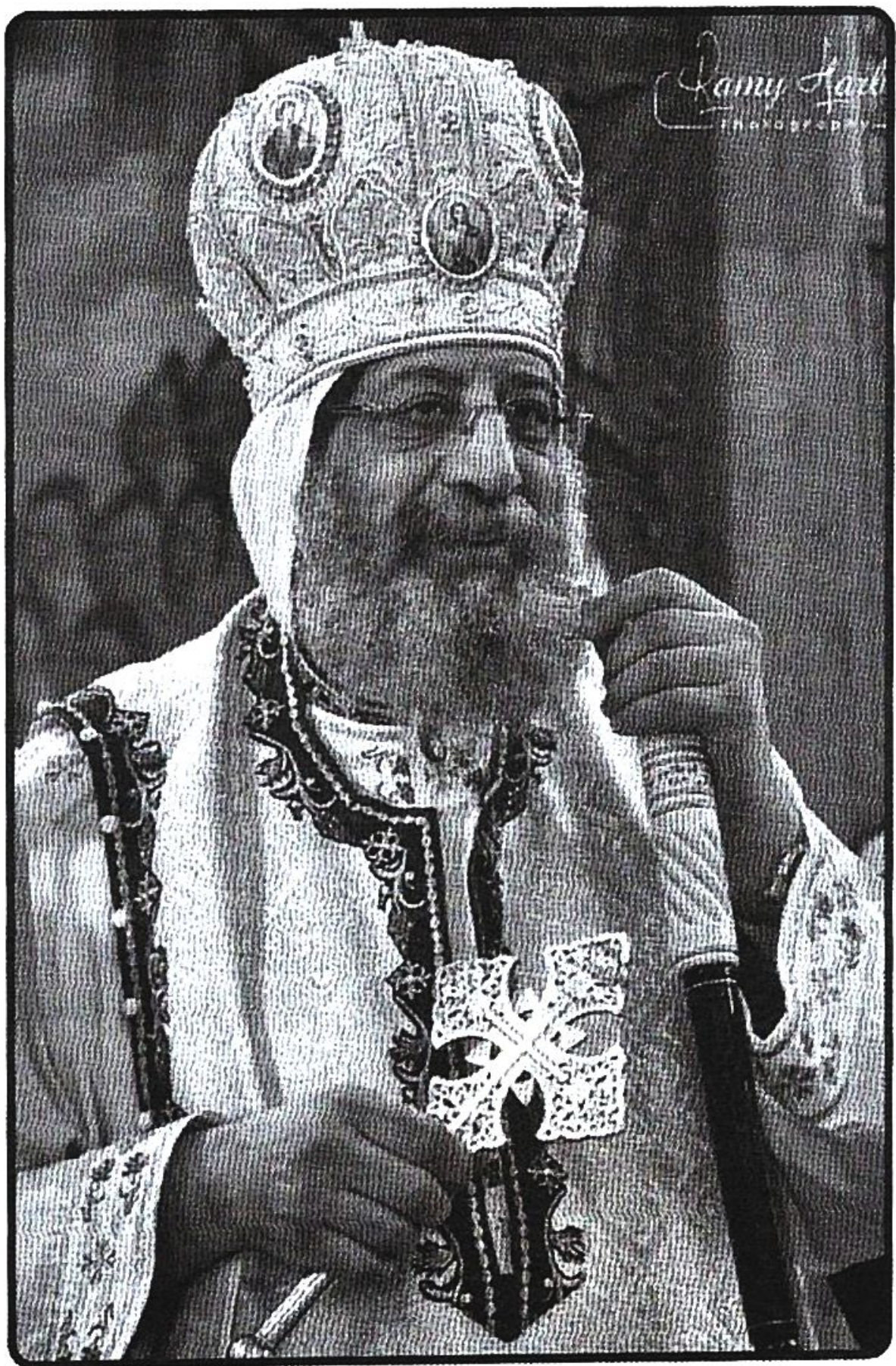
اسم الكتاب : وأردت أن تجده

تقديم : الأنبا موسى - الأسقف العام للشباب.
تأليف : الأنبا رافائيل - الأسقف العام.
رسم الأيقونة : الشماس المكرس جرجس سمير.
الطبعة : الأولى - فبراير ٢٠٢١
المطبعة : المركز المصري للطباعة.

رقم الإيداع : ٢٠٢١/٤٥٠٤

جميع حقوق الطبع
والنشر محفوظة





قداسة البابا تواضروس الثانى

بابا الإسكندرية وبطريق الكرازة المرقسية (١١٨)

المحتويات

٧ مقدمة

٩ تقديم

١٣ تمهيد

١ - تفسير ما عمله المسيح ؟ ١٥

٢ - شروحات الآباء ١٩

٣ - من هو الإنسان ؟ ٢٥

٤ - أوجه ما عمله المسيح معنا وفينا ٣٩

٥ - مفاعيل التجسد والفداء ٤٢

٦ - رفض الهرطقات والمبالغات المتطرفة ٩٢

٧ - دعوة للتصالح ٨٩

خاتمة مبادئ لفهم عمل المسيح ٩٦

تقديم

هذا الكتاب "وأردت أن تجدد" لنيافة أخى الحبيب الأنبا رافائيل حول: "كيف نفهم إيماننا المسيحى كما سلمه لنا الآباء القديسون" "مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (٢بط ١: ٢١)، نتحدث عن:

- ١- تفسير ما عمله السيد المسيح لأجل خلاصنا، و"مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَخْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الْإِسْتِقْصَاءِ!" (رو ١١: ٣٣).
- ٢- شروحات الآباء القديسين، الاعتبارين أعمدة، كما سلمتها الكنيسة المقدسة وهم كثيرون: القديس أثناسيوس، القديس كيرلس الكبير، القديس إيريناؤس، القديس ديسقوروس.. وغيرهم. "أعمدة كنيستنا القبطية الأرثوذكسية".
- ٣- من هو الإنسان؟ خليفة الله على صورته ومثاله.. لكنه أخطأ، وصار الإحتياج لمن يخلصه، ويفديه، ويجدد طبيعته.
- ٤- أوجه لعمل المسيح معنا وفينا بجوانبه المتعددة.. منذ تجسده وميلاده العجيب إلى موته نيابة عنا وقيامته المجيدة لأجلنا.

٥- مفاعيل التجسد الإلهي الفداء العجيب بشرح وافٍ منذ خطية آدم، وخطئة الله لخلاص الإنسان واستعادة مكانته الأولى التي خلق فيها على صورة الله ومثاله.

٦- دعوة للتصالح.. تعالوا نشبع بالمسيح من خلال:

✠ حفظ وصاياہ "وَوَصَايَاهُ لَيْسَتْ ثَقِيلَةً" (أيو ٥: ٣).

✠ ونرجع لله بتوبة صادقة وأمانة، من خلال سر الإعتراف.

✠ ونتحد به ونثبت فيه وهو فينا من خلال سر الإفخارستيا

المقدس "مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ"

(يو ٦: ٥٦).

✠ ونكرز بإسم الرب لأجل ميراث الملكوت العتيد.

شكرًا نيافة الأنبا رافائيل على هذه الدراسة الوافية، المتكاملة الأبعاد الكتابية والآبائية والروحانية.

بصلوات راعينا الحبيب قداسة

البابا تواضروس الثاني

وأحبار الكنيسة الأجلاء

ونعمة الرب تشملنا،

الأنبا موسى

الأسقف العام

مقدمة

انشغل بعض خدام الكنيسة، وشبابها، ببعض المناقشات العقيدية على وسائل التواصل الاجتماعي.

وتبنى البعض أفكارًا جديدة، في موضوع شرح تدبير الخلاص، مستنديين على بعض الدراسات، والأبحاث، والرسائل العلمية، التي قام بها بعض الدارسين سواءً من أبناء الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، أو من كنائس أخرى. ويهتمون الكنيسة بأنها غرقت في تبني اللاهوت الغربي، ولاهوت العصر الوسيط في أوروبا، وأنا في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية نعلم حاليًا بتعليم أنسلم رئيس أساقفة كانتبري في العصر الوسيط.

والبعض الآخر يتمسك بشدة بما استلمناه من آباءنا القديسين، متأكدين من صحة، وسلامة، وأرثوذكسية تعاليم الكنيسة من عصر الآباء الرسل، ومارمرقس الإنجيلي، حتى عصر قداسة البابا تواضروس الثاني، مرورًا بالطبع بمعلم الأجيال قداسة البابا شنودة الثالث.

لذلك وبكل أمانة علمية، وبتوثيق علمي محايد، أردت أن أبحث هذه القضايا؛ ليكون بين يدي كل أب كاهن، وكل خادم أمين، الحقيقة

الإيمانية التي استلمناها من كنيستنا الأمينة، موثقة بنصوص كتابية،
وآبائية، وليتورجية.

وبعض المواضيع التي تشغل اهتمام الدارسين من الجانبين كانت
على سبيل المثال:

١- هل ورثنا خطية آدم أم نتائجها فقط (أي الموت والفساد فقط)،
وقد أصدرت كتيباً في هذا الموضوع بعنوان (أكلت بإرادتي).

٢- فكرة الفرق بين اللاهوت الشرقي، واللاهوت الغربي، ومتى
نشأ هذا الاختلاف، وكيف كان الشرق (القسطنطينية) والغرب
(روما) في شركة معاً حتى القرن الحادي عشر الميلادي (سنة
١٠٥١)، ثم يُقال أن القديس أغسطينوس (القرن الخامس) هو
أبو اللاهوت الغربي، ويخطئونه؟

٣- هل الموت الذي وقع على آدم ونسله، كان نتيجة، أم عقوبة
من الله؟ وهل الله أصلاً يعاقب الأشرار؟ وهل خلق الجحيم،
وجهنم؟ أم هي مجرد حالة نفسية نتيجة الانفصال عن الله
وعن مجده؟

٤- لو لم يخطئ آدم، هل كان سيتجسد الابن الوحيد؟

٥- هل من الخطأ أن نقول (مات المسيح عنا) ونستخدم بدلاً منها
(مات لأجلنا)؟ وما الفرق؟ وهل فعلاً فكرة أن المسيح مات عنا،

وبدلاً عنا، وعوضاً عنا، هي فكرة غريبة، لا يقبلها آباء الشرق؟ وأن البدلية العقابية هي آخر معاقل الأريوسية، والنسطورية، كما يقولون؟

٦- وبالتالي ما معنى الفادي؟ والفدية؟ والثمن الذي دفع في شرائنا؟ ولمن دفع هذا الثمن؟ وما هو الدين الذي كان علينا؟ وكيف سده الرب يسوع بصليبه؟ وما معنى "الَّذِي بِرُوحِ أَرْزِي قَدَمَ نَفْسَهُ لِلَّهِ" (عب ٩: ١٤).

٧- هل فعلاً تبني الغرب النظرية القضائية في شرح تدبير الخلاص؟ ولم يقبلها آباء الشرق؟ هل لم ترد كلمة العدل في كتابات الآباء الشرقيين على الإطلاق كما يدعون؟ هل خلت كتابات آباء الغرب من شرح البعد الشفائي لصليب المسيح وخلاصه الثمين؟

٨- هل كل البشر صُلبوا مع المسيح في الجلجثة؟ وما المقصود بـ (موت الجميع قد تم في جسد الرب)^(١)؟ وما معنى "قَدْ دُسْتُ الْمَغْصَرَةَ وَحْدِي، وَمِنْ الشُّعُوبِ لَمْ يَكُنْ مَعِيَ أَحَدٌ" (إش ٣: ٦٣).

(١) القديس أثناسيوس الرسولي، تجسد الكلمة (٢٠ / ٥) ..

٩- وهل كل البشر قاموا معه؟ وصعدوا معه وجلسوا معه عن يمين الآب؟ بما فيهم غير المؤمنين، والملحدين، والأشرار؟ هل كلنا صعدنا معه، أم أنه أصد باكورتنا إلى السماء؟

١٠- ماذا يقصد الآباء بتركيزهم على تعبير (جسده الخاص، وهيكله الخاص، وأداته)؟

١١- ما معنى وحدتنا في المسيح؟ هل أن نصير الله؟ أم آلهة مثله تماماً؟ أم متألّهين؟ أم ماذا؟

١٢- ماذا يُقصد بتجميع الكل في المسيح؟

١٣- ما قيمة ذبائح العهد القديم؟ وهل لها صلة ما بذبيحة السيد المسيح على الصليب؟

١٤- ما معنى "وَبِدُونِ سَفْكِ دَمٍ لَا تَخْصُلُ مَغْفِرَةً!" (عب ٩: ٢٢)؟ ولماذا سفك الدم؟ ولماذا الموت أصلاً كوسيلة للغفران؟

هذه التساؤلات، وغيرها، يجيب عنها المتأثرون باللاهوت الحديث، بطريقة غير التي يجيب بها المتمسكون بالتفسير التقليدي المخزون في ضمير الكنيسة.

والمشكلة الأصعب هي تبني أصحاب الأفكار الجديدة، حملة تشكيك في ثبات الكنيسة، وأمانتها للمسيح، والإنجيل، والإيمان الأرثوذكسي السليم.

سأجتهد - بنعمة ربنا يسوع المسيح - بقدر الإمكان في هذا الكتيب أن أورد نصوص الكتاب المقدس، وتفسير الآباء، ونصوص الليتورجيا، بكل حياد؛ لنتعرف سوياً على الإيمان المستقيم من جهة بعض هذه التساؤلات، المرتبطة بشرح تدبير الخلاص، مرجئاً البعض الآخر لكتب أخرى بنعمة ربنا.

وأود أن أنوه إلى مجهود مجموعة من الشباب الدارسين، الذين أمدوني ببعض نصوص الآباء مترجمة عن اللغات الأخرى؛ لإثراء الكتاب بهذه الدرر والجواهر الأبائية، شاكرًا لهم مجهوداتهم، وغيرتهم المقدسة على الإيمان المستقيم، الله يكافئهم بالأجر السمائي.

علمًا بأن كمية نصوص الآباء التي تشرح ما في هذا الكتاب، كانت كثيرة جدًا، لدرجة قد تُسبب تشتتًا للقارئ؛ لذلك آثرت أن أورد بعضًا منها على سبيل العينة، أملًا في نعمة ربنا يسوع المسيح، أن يساعدي إلهي الصالح، لأخرج لكم عددًا من الكتيبات، يحمل كلٌ منها عنصرًا واحدًا من عناصر الشرح، ومعه كمية كبيرة من النصوص الشارحة. كأن مثلاً كتاب عن مفهوم الفادي والفدية، وآخر عن مفهوم العقوبة والغضب الإلهي، وثالث عن المعرفة الخلاصية وهكذا.

اتمنى أن تكون عناصر هذا الكتيب، عناوين لكتب أخرى تشبع
رغبة القارئ في الاستزادة بالمعرفة اللاهوتية حسب الكنيسة
القبطية الأرثوذكسية.

فالهدف الحالي من هذا الكتاب هو برهان حقيقة تعدد أوجه
شرح التدبير الخلاصي، في اتجاهات متكاملة، وليست متعارضة
أو متصادمة، وأخص بالذكر البعد الشفائي الكياني، مع البعد
القضائي العقابي.

الرب يبارك في كل مجهود لمجد اسمه القدوس، وبنيان
الكنيسة، وخلص كل نفس، بشفاعات العذراء الطاهرة القديسة
مريم والدة الإله، وبصلوات آباء الكنيسة العظماء أثناسيوس،
وكيرلس، وديسقورس، وساويرس الأنطاكي، الذين تعبوا في صياغة
الإيمان بنقاوة وطهر.

طالبًا صلوات أبينا البطريرك المكرم البابا تواضروس الثاني
وشريكه في الخدمة الرسولية أبي الأسقف المكرم الأنبا موسى الأسقف
العام للشباب.

الأنبا رافائيل

تمهيد

يتأسس اللاهوت الخلاصي في الفكر المسيحي، على الفداء، والكفارة، التي صنعها عنا، ومن أجلنا، ربنا يسوع المسيح على الصليب.

نؤمن أن ربنا يسوع ابن الله الوحيد، هو المخلص الوحيد، وأنه ليس بأحد غيره الخلاص^(١). وأن هذا الخلاص، هو بدمه الثمين المسفوك عنا^(٢)، على خشبة الصليب المقدسة^(٣).

-
- (١) "وَلَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلَاصُ. لِأَن لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ، قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ، بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ" (أع ٤: ١٢).
- "لَأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ" (يو ٣: ١٦).
- "الَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لَا يَدَانُ، وَالَّذِي لَا يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ، لَأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ ابْنِ اللَّهِ الْوَحِيدِ.." (يو ٣: ١٨).
- "الَّذِي يُؤْمِنُ بِالْإِبْنِ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَالَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِالْإِبْنِ لَنْ يَرَى حَيَاةً بَلْ يَمُوتُ عَلَيْهِ غَضَبُ اللَّهِ" (يو ٣: ٣٦).
- (٢) "وَأَخَذَ خُبْزًا وَشَكَرَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلًا: هَذَا هُوَ جَسَدِي الَّذِي يُبَذَلُ عَنْكُمْ. اصْنَعُوا هَذَا لِذِكْرِي" (لو ٢٢: ١٩).

وقد قَبِلَتَ الكنيسة منذ البداية هذا الإيمان، ببساطة وفرح، وعاشته يومياً في صلواتها الليتورجية، ومن خلال الاتحاد الحقيقي، والسرائري^(٤)، والسري، المستمر بعريسها السماوي ربنا يسوع المسيح، في الأسرار المقدسة، ولاسيما في المعمودية، والإفخارستيا.

هذا هو إيماننا الثابت، غير المتغير، والذي لا يمكن أن نتنازل عنه.



"وَكَذَلِكَ الْكَأْسَ أَيْضًا بَعْدَ الْعَشَاءِ قَائِلًا: هَذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي الَّذِي يُسْفِكُ عَنْكُمْ" (لو ٢٢: ٢٠).

(٣) "الَّذِي لَنَا فِيهِ الْفِدَاءُ، بِدَمِهِ غُفْرَانُ الْخَطَايَا" (كو ١: ١٤).

"قَدْ اشْتَرَيْتُمْ بِثَمَنِ، فَلَا تَصِيرُوا عَبِيدًا لِلنَّاسِ" (١كو ٧: ٢٣).

"لَأَنَّكُمْ قَدْ اشْتَرَيْتُمْ بِثَمَنِ. فَمَجِّدُوا اللَّهَ فِي أَجْسَادِكُمْ وَفِي أَرْوَاحِكُمْ الَّتِي هِيَ لِلَّهِ" (١كو ٦: ٢٠).

(٤) أي من خلال أسرار الكنيسة، الخلاصية.

تفسير ما عمله المسيح



وعبر تاريخ الفكر المسيحي، حاول اللاهوتيون المسيحيون شرح سر الخلاص، بالعديد من الشروحات المتنوعة، هادفين إلى تفسير هذا السر العظيم، غير المدرك في كماله.

وقد قبلت الكنيسة الجامعة الأرثوذكسية معظم هذه الشروحات، ولكن جزءاً منها لم يكن مقبولاً.

وفي هذا الإطار، يمكن أن نعتبر أن أي رؤية تفسيرية، يمكن أن لا تخلو من حق، طالما اتسقت مع الإعلان الإلهي في الكتاب المقدس، وتسليم الآباء، وصلواتنا الليتورجية، وقانون الإيمان، وقوانين المجامع المسكونية والمحلية التي قبلتها كنيستنا. خاصة وأن، عمل ربنا يسوع المسيح الخلاصي على الصليب، هو عمل فائق، يصعب استيعابه وفهمه في كماله. لأنه سرٌّ بالحق^(١)، والسر لا يمكن استقصاؤه، بل يحتاج نعمة خاصة لإدراك بعض من كماله.

(١) قيل عن الشماسة: "وَلَهُمْ سِرٌّ الْإِيمَانِ بِضَمِيرٍ طَاهِرٍ" (١تي ٢: ٢٠).

✠ "وَأَنْتُمْ مُتَأَصِّلُونَ وَمُتَأَسِّسُونَ فِي الْمَحَبَّةِ، حَتَّى تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَدْرِكُوا مَعَ جَمِيعِ الْقَدِيسِينَ، مَا هُوَ الْعَرْضُ وَالطُّولُ وَالْعُمُقُ وَالْعُلُو، وَتَعْرِفُوا مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ الْفَائِقَةَ الْمَعْرِفَةَ، لَكِي تَمْتَلِنُوا إِلَى كُلِّ مِلءِ اللَّهِ. وَالْقَادِرُ أَنْ يَفْعَلَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، أَكْثَرَ جِدًّا مِمَّا نَطْلُبُ أَوْ نَفْتَكِرُ، بِحَسَبِ الْقُوَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ فِيْنَا" (أف ٣: ١٨-٢٠).

✠ "لَأَنْ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ؟ أَوْ مَنْ صَارَ لَهُ مُشِيرًا؟" (رو ١١: ٣٤).
 ✠ "يَا لَعُمُقِ غِنَى اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الْأَسْتِقْصَاءِ!" (رو ١١: ٣٣).

ولذلك لا يمكن لأحدٍ أيًا كان، أو لشرح واحدٍ، أن يحيط به إحاطة تامة. بل سيظل سر التجسد، وسر الفداء، سرًا لا ينتهي الإنسان من فهمه. بل ان محاولة الفهم هي كالاقتراب من العليقة المشتعلة أغصانها بالنار، لا يجوز الاقتراب منها ما لم نخلع حذاء الفهم البشري.

إنه كالاقتراب من الضباب الإلهي^(٢)، ومحاولة رؤية غير المرئي، واحتواء غير المحوي، ووضع بداية لمن لا بداية له، وإدراك غير المدرك، وفحص غير المفحوص، ووضع حدود لمن

(٢) "حِينَئِذٍ تَكَلَّمَ سُلَيْمَانُ: قَالَ الرَّبُّ إِنَّهُ يَسْكُنُ فِي الضَّبَابِ" (١مل ٨: ١٢).

لا يُحد. وهذا بالطبع مستحيل، ولكننا نستطيع أن ندخل إلى هذه المعرفة بنعمة خاصة من الله، تُمنح لأنقياء القلب^(٣)، والمتواضعين^(٤).

فالكتاب المقدس كشف لنا عن قدر محدود من المعرفة، يناسب إمكانياتنا البشرية، وبالرغم من أن الله كشف لنا عن ذاته في شخص ابنه الوحيد، ربنا يسوع المسيح^(٥)، إلا أنه يظل مدركاً لا يدرك كماله، مثلما قال المغبوط بولس الرسول: "يَا لَعُمَقِ غِنَى اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامُهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطَرُقِهِ عَنِ الْاسْتِقْصَاءِ! لَأَنْ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ؟ أَوْ مَنْ صَارَ لَهُ مُشِيرًا؟" (رو ١١: ٣٣-٣٤).

(٣) "طُوبَى لِلْأَنْقِيَاءِ الْقُلُوبِ، لِأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللَّهَ" (مت ٥: ٨).

"سِرُّ الرَّبِّ لِحَائِفِيهِ، وَعَهْدُهُ لِتَعْلِيمِهِمْ" (مز ٢٥: ١٤).

(٤) "فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الْآبُ رَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، لِأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هَذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلْأَطْفَالِ" (مت ١١: ٢٥).

(٥) "اللَّهُ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ آبَاءَهُ بِالْأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ" (عب ١: ١-٢).

"وفي آخر الأيام، ظهرت لنا، نحن الجلوس في الظلمة، وظلال الموت، بابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح" (القداس الباسيلي).

أو كما تساءل بلاد الشوحي "إِلَى عُمُقِ اللَّهِ تَتَّصِلُ، أَمْ إِلَى نِهَآيَةِ الْقَدِيرِ تَنْتَهِي؟ هُوَ أَعْلَى مِنَ السَّمَآوَاتِ، فَمَاذَا عَسَاكَ أَنْ تَفْعَلَ؟ أَعْمَقُ مِنَ الْهَآوِيَةِ، فَمَاذَا تَذَرِي؟" (أى ١١: ٨٧).

إننا كمن ينظر الآن في مرآة، لنا بعض الفهم لكن ليس كل الفهم "فَإِنَّا نَنْظُرُ الْآنَ فِي مِرْآةٍ، فِي لُغْزٍ، لَكِنْ حِينئِذٍ وَجْهًا لَوَجْهِهِ. الْآنَ أَعْرِفُ بَعْضَ الْمَعْرِفَةِ، لَكِنْ حِينئِذٍ سَأَعْرِفُ كَمَا عُرِفْتُ" (١ كو ١٣: ١٢).

يقول القديس كيرلس الكبير: "أَفَلَيْسَ هَذَا السِّرُّ عَمِيقًا؟ أَلَا يُلْزِمُنَا الْإِعْتِرَافُ بِأَنَّ التَّدْبِيرَ الْإِلَهِيَّ أَعْظَمُ مِمَّا يُمْكِنُ لِلْغَةِ أَنْ تَصِفَهُ؟ أَيُّ شَيْءٍ يُمْكِنُ أَنْ يَوْجِدَ فِي هَذَا؟ لَذَلِكَ لَيْتُنَا عِنْدَمَا نُقَدِّمُ لَهُ التَّسْبِيحَ، نَكْرُرُ مَا أَنْشَدْتَهُ قِيَارَةَ الْمَرْنَمِ: "مَا أَعْظَمَ أَعْمَالُكَ، يَا رَبُّ! بِحِكْمَةٍ صَنَعْتَ جَمِيعَهَا" (مز ١٠٣: ٤ س) (٦).



(٦) القديس كيرلس الكبير، عظة رقم (١٥٣) على شرح إنجيل القديس لوقا.

شروحات الآباء

عَبَّرَ الْكُتَّابُ الْمَسِيحِيُّونَ الْأَوَّلُونَ، وَأَبَاءُ الْكَنِيسَةِ مِنْذُ الْقَدِيمِ، وَحَتَّى عَصَرَنَا هَذَا، كُلُّ مِنْهُمْ عَبَّرَ بِشَرْحِهِ الْخَاصِّ، وَرُؤْيَيْهِ الشَّخْصِيَّةِ، عَنْ جَانِبٍ لِعَمَلِ الْمَسِيحِ الْفِدَائِيِّ عَلَى الصَّلِيبِ. فَكُلُّ مِنْهُمْ قَدْ عَكَسَ شَارِحًا مَا اخْتَبَرَهُ، وَتَذَوَّقَهُ، وَالتَّقَاهُ فِي عَمَلِ الْمَسِيحِ، دُونَ أَنْ يَتَجَاهَلَ، أَوْ يَحْقَرَّ مِنْ تَفَاسِيرٍ، وَشُرُوحَاتِ الْأَبَاءِ الْآخَرِينَ، الْمَعْتَبَرِينَ أَعْمَدَةً.

يَقُولُ الْقَدِيسُ كِيرْلِسُ الْكَبِيرُ: "أَعْتَقَدُ أَنَّ الَّذِينَ يَدْرُسُونَ الْأَسْفَارَ الْمُقَدَّسَةَ، يُمْكِنُهُمُ الْإِسْتِعَانَةُ بِكُلِّ الْكُتَابَاتِ الْأَمِينَةِ، وَالصَّالِحَةِ، الْخَالِيَةِ مِنَ الْأَخْطَاءِ، وَهَكَذَا يَجْمَعُونَ أَفْكَارَ الْكَثِيرِينَ فِي وَحْدَةٍ وَاحِدَةٍ، لَخِدْمَةِ الرُّؤْيَا وَإِدْرَاكِ الْحَقِّ، هَؤُلَاءِ يَرْتَفِعُونَ إِلَى مَسْتَوًى جَيِّدٍ مِنَ الْمَعْرِفَةِ، وَيَتَشَبَّهُونَ بِالنَّحْلَةِ الْعَامِلَةِ الْحَكِيمَةِ النَّشِيطَةِ الَّتِي تَجْمَعُ شَهْدَ الْعَسَلِ، الَّذِي لِلرُّوحِ الْقُدُسِ"^(١).

وَيَقُولُ الْقَدِيسُ أَثْنَاسِيُوسُ الرَّسُولِيُّ الْعَظِيمُ: "لَقَدْ كَتَبْتُ هَذَا الشَّرْحَ الْمُخْتَصَرَ حَسْبَمَا تَعَلَّمْتُ، أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لَكَ، فَارْجُو أَنْ تَقْبَلَ هَذَا

(١) الْقَدِيسُ كِيرْلِسُ الْكَبِيرُ، شَرْحُ إِنْجِيلِ يُوْحَنَّا الْكِتَابِ الْأَوَّلِ الْمُقَدَّمَةِ.

الشرح، ليس كتعليم كامل وتام في ذاته، بل كبداية تحتاج إلى أن تكملها مُعتمداً على نصوص الأناجيل والمزامير^(٢).

ويقول القديس كيرلس الكبير أيضاً: "على المرء أن يفسر الكتب المقدسة حتى لو سبقه آخرون"^(٣).

والخبرة الشخصية لهؤلاء الآباء، لا تتفصم ولا تتفصل، عن الخبرة الكنسية الجماعية على مر الأجيال في التلامس مع الصليب، وفهم عمل المسيح الخلاصي. فلذلك، لم تقبل الكنيسة الجامعة الأرثوذكسية، منذ البداية أي رأي ليس عليه إجماع^(٤). وفهمت تفاسير الآباء، بطريقة تكاملية، لا تصادمية^(٥).

(٢) من نهاية الرسالة الرابعة للقديس أثناسيوس الرسولي إلى سيرابيون من كتابه الرسائل عن الروح القدس.

(٣) القديس كيرلس الكبير، تفسير إشعياء PG 71.12A.

(٤) "لأنَّهُ قَدْ رَأَى الرُّوحُ الْقُدُسُ وَنَحْنُ" (أع ١٥: ٢٨).

"وَمَا سَمِعْتَهُ مِنِّي بِشُهُودٍ كَثِيرِينَ، أَوْدَعَهُ أَنَا أَمَتَاءُ، يَكُونُونَ أَكْفَاءُ أَنْ يَعْلَمُوا آخَرِينَ أَيْضًا" (٢ تي ٢: ٢).

"أَمْ مِنْكُمْ خَرَجَتْ كَلِمَةُ اللَّهِ؟ أَمْ إِلَيْكُمْ وَحْدَكُمْ أَنْتَهَتْ؟" (١ كو ١٤: ٣٦).

(٥) أذكر القارئ الحبيب أن هدف هذا الكتاب، هو شرح أن عمل الفداء بصليب ربنا يسوع المسيح، هو عمل كبير جداً، متعدد الوجوه، ويحتمل أنواعاً كثيرة من الشرح المتكامل، وأن ما تم تقديمه من شروحات بطول التاريخ، في الشرق والغرب، يمكن أن يفهم بصورة تكاملية، وليست تصادمية، باستثناء ما رفضته الكنيسة الجامعة، من شروحات منحرفة، منذ البداية..

وفهمُ العمل الإلهي العظيم، لابد أن ينطلق من إيمان الكنيسة، وحياتها المعاشة، مذاقة في الليتورجيا، وحياة الآباء، وخبرتهم الروحية، متسقاً مع الإعلان الإلهي في الكتاب المقدس.

يقول القديس أثناسيوس الرسولي: "دعونا ننظر إلى تقليد الكنيسة الجامعة، وتعليمها، وإيمانها، الذي هو من البداية، والذي أعطاه الرب، وكرز به الرسل، وحفظه الآباء، وعلى هذا الأساس تأسست الكنيسة، ومن يسقط منه فلن يكون مسيحياً، ولا ينبغي أن يدعى كذلك فيما بعد"^(٦).

ويقول القديس إيريناؤس: "إن الكتب المقدسة كاملة، إذ هي صادرة من الله وروحه، حتى وإن عجزنا عن إدراك أسرارها"^(٧).

ويقول القديس أثناسيوس الرسولي: "أن تعليم الحق يكون أدق ما يمكن حينما نستمدّه من الكتاب المقدس وليس من مصادر أخرى"^(٨).

ويقول القديس يوحنا ذهبي الفم: "في الكتب المقدسة لن نتردد مثقال ذرة أو نقطة، إنما يلزمنا أن نبحث كل شيء، فإن

(٦) القديس أثناسيوس الرسولي، رسائل الروح القدس - الرسالة الأولى (فقرة ٢٨).

(٧) أ. حلمي القمص يعقوب (ص ٤٥)، كتاب النقد الكتابي: مدارس النقد

والتشكيك والرد عليها (العهد الجديد من الكتاب المقدس).

(٨) القديس أثناسيوس الرسولي، دفاع عن قانون إيمان مجمع نيقية، (فقرة ٣٢).

**الروح القدس هو الذي نطق بالكل، وليس شيء من المكتوب جاء
بغير فائدة^(٩).**

لذلك، فإنه من الخطأ الجسيم، أن يُنظر إلى عمل المسيح الخلاصي، في اتجاه واحد، ورؤية واحدة منعزلة عن الخبرة الكنسية الجماعية، والرؤى التفسيرية الممتدة للآباء الأولين. فهناك أوجه متعددة قد كُشفت لنا عبر هؤلاء. فليس الطريق للاقترب من هذا السر ومحاولة فهمه، أحاديًا، بل هو طريق متعدد المداخل، بل هو طرق متنوعة نستطيع من خلالها معًا أن نقرب بخشوع من فهم وإدراك سر المسيح.

لاحظ قارئ الحبيب، أن القديس أثناسيوس الرسولي، حينما أراد أن يشرح سر تجسد الكلمة، كتب كتابًا من ٥٧ فصل، وختمه بهذه العبارات الدالة على أن سر التجسد لا يمكن الانتهاء من شرحه، ولا يمكن الوصول إلى منتهاه، ولا يمكن حصر شرحه في اتجاه واحد: **"وباختصار، فإن الأعمال التي حققها المخلص بتأنسه، عظيمة جدًا في نوعها، وكثيرة في عددها، حتى أنه إذا أراد أحد أن يحصيها، فإنه يصير مثل الذين يتفرسون في عرض البحر، ويريدون أن يحصوا أمواجه. لأنه كما أن الإنسان لا يستطيع أن يحصى كل الأمواج بعينه، لأن الأمواج تتتابع بطريقة تبليبل ذهن كل من يحاول**

^(٩) القمص تادرس يعقوب ملطي، القديس يوحنا ذهبي الفم (سيرته، منهجه وأفكاره، كتاباته - ملامح عظمته التفسيرية).

ذلك، هكذا من يحاول أن يحصى كل أعمال المسيح في الجسد، فمن المستحيل أن يدركها كلها، إذ إن الأعمال العظيمة التي تفوق ذهنه هي أكثر من تلك التي يظن أنه قد أدركها.

إذا فمن الأفضل ألا يحاول الإنسان أن يتحدث عنها كلها، مادام لا يستطيع أن يوفي ولو جزءاً منها حقه، وإن ذكرنا عملاً آخر منها، فإننا نترك لك باقى الأعمال كلها للتعجب منها. لأنها كلها عجيبة على السواء. وأينما وجه الإنسان بصره فإنه يرى الوهية الكلمة، ويتملك عليه الذهول العظيم^(١٠).

بالإضافة إلى أن فهم العمل الإلهي، يحتاج نقاوة في النفس، وطهارة في الروح، واتضاع قلب، كما علمنا القديس أثناسيوس الرسولي: "إن دراسة الكتب المقدسة ومعرفتها معرفة حقيقية تتطلبان حياة صالحة، ونفساً طاهرة وحياة الفضيلة التي بالمسيح. وذلك لكى يستطيع الذهن - باسترشاده بها - أن يصل إلى ما يتمناه وأن يدرك بقدر استطاعة الطبيعة البشرية ما يختص بالله الكلمة. فبدون الذهن النقى، والتمثل بحياة القديسين، لا يستطيع الإنسان أن يفهم أقوال القديسين. فكما أنه إذا أراد إنسان أن يبصر نور الشمس عليه أن يمسح عينيه ويجليها، لكى تقترب نوعاً ما من نقاوة النور الذى

(١٠) القديس أثناسيوس الرسولى، تجسد الكلمة (٥٤ / ٤-٥).

يريد أن يراه، حتى إذا استنارت العين يمكنها أن ترى نور الشمس.
أو كما أنه إذا أراد إنسان أن يرى مدينة أو قرية فيجب عليه أن
يذهب إلى هناك لكي يراها، هكذا فمن يريد أن يعرف فكر
أولئك الذين يتكلمون عن الله يلزمه بالضرورة أن يبدأ بغسل
نفسه وتطهيرها بتغيير طريقة حياته ويقرب إلى القديسين أنفسهم
بالاقتداء بأعمالهم. وهكذا إذ يشترك معهم في السلوك يمكنه أيضًا أن
يفهم ما قد أعلن لهم من الله، وبعد ذلك إذ يكون قد ارتبط بهم
ارتباطًا وثيقًا فإنه يفلت من الخطر المحدق بالخطاة والنار في يوم
الدينونة، ويحصل على ما أعد للقديسين في ملكوت السموات، "ما لم
تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على بال إنسان"، ما أعد للذين
يعيشون في الفضيلة، ويحبون الله الآب بالمسيح يسوع ربنا الذي به
ومعه يحق للآب نفسه، مع الابن نفسه، في الروح القدس، الكرامة
والقدرة والمجد إلى دهر الدهور آمين" (١١).

(يا إلهي الصالح، تحنن على ضعفي، وعدم نقاوة قلبي، وافهمني
تدبير خلاصك، بالرغم من قساوة قلبي، ونجاسات نفسي، اتوسل إليك
اكشف عن عيني، لأتأمل عجائب تدابيرك الصالحة، ليس من أجل صلاح
في؛ فأنت وحدك تعرف ضعفاتي، وتعرف الأشياء الأخرى التي لي).

(١١) القديس أثاناسيوس الرسولي، تجسد الكلمة (٥٧ / ١-٢).

من هو الإنسان؟

(إن كلمة الله قد وحدت بنفسه طبيعة الإنسان بشمولها؛ لكي يخلص الإنسان بكليته)^(١).

"فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشتراك هو أيضاً كذلك فيهما، لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت، أي إبليس" (عب ٢: ١٤).

لكي نفهم أبعاد، وأعماق، وعظمة ما عمله الله معنا، في ابنه الوحيد ربنا يسوع المسيح، بالروح القدس، علينا أولاً أن نفهم:

- ١- من هو الإنسان؟ وما هي مكانته عند الله؟
- ٢- ثم ندرك تأثير الخطية في الطبيعة البشرية.
- ٣- وبالتالي نفهم أبعاد العمل الإلهي الخلاصي في استعادة الإنسان لمكانته الأولى^(٢).

(١) القديس كيرلس الكبير، تفسير إنجيل يوحنا (يو ١٢: ٢٧).

(٢) "وأردت أن تجدد، وترده إلى رتبته الأولى" (صلاة الصلح القديس الغريغوري).
 "فتح باب الفردوس، ورد آدم إلى رئاسته مرة أخرى" (ثيوطوكية يوم الأحد القطعة ١٥).

"من قبل صليبه، وقيامته المقدسة، رد الإنسان مرة أخرى، إلى الفردوس"
 (مرد إنجيل عيد الصليب المجيد) ..

الخلق من العدم

لقد خلق الله الخليفة كلها من العدم، ثم خلق الإنسان متميزاً^(٣)، عن كل الخليفة غير العاقلة؛ ليتسلط على هذه الخليفة^(٤)، ويستخدمها لخدمته^(٥)، باعتبار الإنسان هو الكائن العاقل الوحيد بين كل الخليفة المادية.

والسر في هذه النعمة العظيمة، وهذا التميز الرائع، ان الإنسان مخلوق على صورة الله كشبهه^(٦).

(٣) "أَحْمَدُكَ مِنْ أَجْلِ أَنِّي قَدْ أَمْتَزْتُ عَجَبًا. عَجِيبَةٌ هِيَ أَعْمَالُكَ، وَتَفْسِي تَعْرِفُ ذَلِكَ يَقِينًا" (مز ١٣٩: ١٤).

(٤) "الذي كَوَّنَ كلَّ شَيْءٍ بكلمته، وبحكمته خلقت إنساناً؛ ليكون رئيساً على المخلوقات التي صنعتها من قبلك، ويسوس العالم بقداسة وبر" (صلاة للحجاب من القداش الباسيلي القبطي) ..

(٥) "أَقَمْتُ السَّمَاءَ لِي سَقْفًا، وَثَبَّتُ لِي الْأَرْضَ لِأَمْشِيَ عَلَيْهَا، مِنْ أَجْلِ أَجْمَتِ الْبَحْرِ، مِنْ أَجْلِ أَظْهَرْتُ طَبِيعَةَ الْحَيَوَانِ، أَخَضَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمِي، لَمْ تَدْعُنِي مَعُوزًا شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِ كِرَامَتِكَ" (القداش الغريغوري).

(٦) "وَقَالَ اللَّهُ: نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ، وَعَلَى كُلِّ الْأَرْضِ، وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَابَاتِ الَّتِي تَدْبُّ عَلَى الْأَرْضِ. فَخَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللَّهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ" (تك ١: ٢٦-٢٧).

لذلك تصير قيمة الإنسان عند الله، مثل قيمة، ومحبة ابنك في قلبك، مقارنة بقيمة وغلاوة عربيتك الفارهة، أو بيتك، أو كل ممتلكاتك.

يشرح القديس أثناسيوس الرسولي هذه الحقيقة بقوله: "الله صالح بل هو بالأحرى مصدر الصلاح. والصالح لا يمكن أن يبخل بأى شئ وهو لا يحسد أحداً حتى على الوجود. ولذلك خلق كل الأشياء من العدم بكلمته يسوع المسيح ربنا، وبنوع خاص تحنن على جنس البشر. ولأنه رأى عدم قدرة الإنسان أن يبقى دائماً على الحالة التي خلق فيها^(٧)، أعطاه نعمة إضافية، فلم يكتف بخلق البشر مثل باقي الكائنات غير العاقلة على الأرض، بل خلقهم على صورته وأعطاهم شركة في قوة كلمته حتى يستطيعوا بطريقة ما، ولهم بعض من ظل (الكلمة) وقد صاروا عقلاء، أن يبقوا في سعادة ويحيوا الحياة الحقيقية، حياة القديسين في الفردوس^(٨)."

"الله خلق الإنسان لعدم الفساد وجعله على صورة أزلته"
(حك ٢: ٢٣).

(٧) أي دوام الوجود.

(٨) القديس أثناسيوس الرسولي، تجسد الكلمة (٣/ ٣).

ما هو معنى حقيقة أننا مخلوقون على صورة الله؟ ما هي هذه الصورة فينا؟

إن صورة الله المنطبعة فينا هي العقل، والحكمة، والقداسة، والحرية، والبر، والخيرية، والصلاح، والرحمة، الميل للفضيلة، والمعرفة، والصداقة مع الله، والبنوة لله، والحياة، والسلطان، والفكر الخلاق.. إلخ.

يقول القديس كيرلس الكبير: "وكون أن الإنسان خلق على صورة الله (تك ١: ٢٦)، فهذا له معاني ومدلولات أخرى: فالإنسان وحده من بين الخلائق الحية على الأرض، هو كائن عاقل، ورحوم، وله ميل نحو كل فضيلة. وقد أعطي له سلطان على كل الأشياء التي على الأرض وذلك حسب صورة الله ومثاله. وتبعًا لذلك، فكما أن الإنسان هو كائن حي عاقل، وهو محب للفضيلة وله سلطان على كل الأشياء التي على الأرض، لذلك يؤكد (الكتاب) أنه قد خلق على صورة الله"^(٩).

^(٩) القديس كيرلس الكبير، الرسالة ٨٣، من كيرلس إلى كالوسيروس أسقف أرسينوى ضد أولئك الذين يقولون أن اللاهوت له هيئة بشرية، الفقرة الرابعة، ترجمة الدكتور موريس تاوضروس، والدكتور نصحي عبد الشهيد، يونيو ١٩٩٧م.

ولذلك نصلي في القداس الإلهي قائلين: "وكتبت في صورة سلطانك" (١٠).

يقول المزمور: "فَمَنْ هُوَ الْإِنْسَانُ حَتَّى تَذْكُرَهُ؟ وَأَبْنُ آدَمَ حَتَّى تَفْتَقِدَهُ؟ وَتَنْقُصَهُ قَلِيلاً عَنِ الْمَلَائِكَةِ، وَبِمَجْدٍ وَبِهَاءٍ تُكَلِّلُهُ. تُسَلِّطُهُ عَلَى أَعْمَالِ يَدَيْكَ. جَعَلْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ: الْغَنَمَ وَالْبَقَرَ جَمِيعًا، وَبِهَائِمَ الْبَرِّ أَيْضًا، وَطُيُورَ السَّمَاءِ، وَسَمَكَ الْبَحْرِ السَّالِكِ فِي سُبُلِ الْمِيَاهِ" (مز ٨: ٤-٨).

وبالنظر إلى هذه الامتيازات العظيمة التي جُبل عليها آدم، لذلك، فخطية آدم لم تكن مجرد خطأ، وعصيان، يتطلب من الإنسان التوبة والاعتراف وكفى، بل نتج عن هذه الخطية فقدان، وتشوه كل ما للإنسان.

يقول القديس أنثاسيوس الرسولي: "ولا تقدر التوبة أن تغير طبيعة الإنسان، بل كل ما تستطيعه هو أن تمنعهم عن أعمال الخطية. فلو كان تعدى الإنسان مجرد عمل خاطئ، ولم يتبعه فساد، لكانت التوبة كافية. أما الآن بعد أن حدث التعدي، فقد تورط البشر في ذلك الفساد الذي كان هو طبيعتهم، ونزعت منهم نعمة مماثلة صورة الله" (١١).

(١٠) القداس الغريغوري.

(١١) القديس أنثاسيوس الرسولي، تجسد الكلمة (٧/ ٣، ٤).

فالإنسان، بسقوطه في العصيان، فقد مماثلة صورة الله، وفقد كل الامتيازات الممنوحة له، فصار خاطئاً، مائتاً، فاسداً، جاهلاً، غير حكيم، مقيداً تحت عبودية إبليس، كما أنه فقد البنوة لله الأب، وصار الإنسان يميل لعمل الشر^(١٢)، وأقام حاجزاً وعداوة بينه وبين الله^(١٣).

✠ "مَمْلُوءِينَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ وَزِنًا وَشَرٍّ وَطَمَعٍ وَخُبْثٍ، مَشْحُونِينَ حَسَدًا وَقَتْلًا وَخِصَامًا وَمَكْرًا وَسُوءًا، نَمَامِينَ مُفْتَرِينَ، مُبْغِضِينَ لِلَّهِ، ثَالِبِينَ مُتَعَظِّمِينَ مُدَّعِينَ، مُبْتَدِعِينَ شُرُورًا، غَيْرَ طَائِعِينَ لِلْوَالِدِينَ، بِلَا فَهْمٍ وَلَا عَهْدٍ وَلَا حَنُوءٍ وَلَا رِضَى وَلَا رَحْمَةٍ. الَّذِينَ إِذْ عَرَفُوا حُكْمَ اللَّهِ أَنَّ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ مِثْلَ هَذِهِ يَسْتَوْجِبُونَ الْمَوْتَ، لَا يَفْعَلُونَهَا فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا يُسْرِوْنَ بِالَّذِينَ يَعْمَلُونَ" (روا ٢٩: ٣٢).

(١٢) "أَنَّ اللَّهَ صَنَعَ الْإِنْسَانَ مُسْتَقِيمًا، أَمَّا هُمْ فَطَلَبُوا اخْتِرَاعَاتٍ كَثِيرَةً" (جا ٧: ٢٩).
"وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الْإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الْأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارٍ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شَرِيرٌ كُلَّ يَوْمٍ" (تك ٦: ٥).

"لَأَنَّ الْأَرْضَ أَمْتَلَأْتُ مِنَ الْفَاسِقِينَ. لَأَنَّهُ مِنْ أَجْلِ اللَّعْنِ نَاحَتْ الْأَرْضُ. جَفَّتْ مَرَاعِي الْبَرِّيَّةِ، وَصَارَ سَعْيُهُمْ لِلشَّرِّ، وَجَبَرُوتُهُمْ لِلْبَاطِلِ. لَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْكَهَنَةَ تَنَجَّسُوا جَمِيعًا، بَلْ فِي بَيْتِي وَجَدْتُ شَرَّهُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ" (إر ٢٣: ١٠-١١).

(١٣) الحاجز المتوسط نقضته، والعداوة القديمة هدمتها، وصالحت الأرضيين مع السمايين" (صلاة الصلح الغريغوري).

✠ "هَآنَذَا بِالْإِثْمِ صُورْتُ، وَبِالْخَطِيئَةِ حَبَلْتُ بِي أُمِّي" (مز ٥١: ٥).

✠ "مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتْ الْخَطِيئَةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيئَةِ الْمَوْتُ، وَهَكَذَا أَجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ" (رو ٥: ١٢).

✠ "الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعًا. لَيْسَ مَنْ يَفْعَلُ صَالِحًا لَيْسَ وَلَا وَاحِدٌ" (رو ٣: ١٢).

✠ "إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللَّهِ" (رو ٣: ٢٣).

لذلك يتطلب عمل الخلاص، إستعادة كل ما فقده الإنسان، وإصلاح كل ما أفسدته الخطية، وليس مجرد مغفرة الخطية، أو مجرد إعلان محبة الله، أو فقط تسديد الدين، أو التحرير من القيود، بل كل هذا معًا.

إذًا، نحن ننظر للخطية، ومخالفة الوصية، نظرة شمولية، فالخطية هي: مرض^(١٤)، وضعف^(١٥)، وموت^(١٦)، وفساد^(١٧)، وعداوة^(١٨)،

^(١٤) "فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: لَا يَحْتَاجُ الْأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيبٍ، بَلِ الْمَرْضَى.

لَمْ آتِ لِأَدْعُو أَبْرَارًا بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ" (لو ٥: ٣١-٣٢).

^(١٥) "لَأَنَّ الْمَسِيحَ، إِذْ كُنَّا بَعْدَ ضَعْفَاءَ، مَاتَ فِي الْوَقْتِ الْمُعَيَّنِ لِأَجْلِ الْفُجَّارِ" (رو ٥: ٦).

^(١٦) "بِخَطِيئَةٍ وَاحِدَةٍ مَاتَ الْكَثِيرُونَ" (رو ٥: ١٥).

"بِخَطِيئَةِ الْوَاحِدِ قَدْ مَلَكَ الْمَوْتُ بِالْوَاحِدِ" (رو ٥: ١٧).

وجريمة^(١٩)، ودين^(٢٠)، وانحراف، وابتعاد^(٢١)، وتعدّي^(٢٢)، وجهل^(٢٣)،
وتمرد وعصيان، وخيانة.. إلخ.

(١٧) "الذي بنى الإنسان على غير فساد، والموت الذي دخل إلى العالم بحسد إبليس" (صلاة الصلح الباسيلي).

(١٨) "لأنّهُ إِن كُنَّا وَنَحْنُ أَعْدَاءُ قَدْ صَوْلِحْنَا مَعَ اللَّهِ بِمَوْتِ ابْنِهِ، فَبِالْأُولَى كَثِيرًا وَنَحْنُ مُصَالِحُونَ نَخْلُصُ بِحَيَاتِهِ!" (رو ١٠:٥).

(١٩) "فَأَغْتَاطَ يَغْقُوبُ وَخَاصَمَ لَابَانَ. وَأَجَابَ يَغْقُوبُ وَقَالَ لِلَابَانَ: مَا جُرْمِي؟ مَا خَطِيئَتِي حَتَّى حَمَيْتَ وَرَائِي؟" (تك ٣١:٣٦).

(٢٠) "فَلَمَّا ابْتَدَأَ فِي الْمُحَاسَبَةِ قَدَّمَ إِلَيْهِ وَاحِدَ مَذْيُونٍ بَعَشَرَ آلَافٍ وَزَنَةِ. وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَا يُوفِي أَمْرَ سَيِّدِهِ أَنْ يُبَاعَ هُوَ وَأَمْرَأَتُهُ وَأَوْلَادُهُ وَكُلُّ مَا لَهُ، وَيُوفِي الدَّيْنَ. فَخَرَّ الْعَبْدُ وَسَجَدَ لَهُ قَائِلًا: يَا سَيِّدُ، تَمَهَّلْ عَلَيَّ فَأُوفِيكَ أَجْمِيعَ. فَتَحَنَّنَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْعَبْدِ وَأَطْلَقَهُ، وَتَرَكَ لَهُ الدَّيْنَ" (مت ٢٤:٢٧).

(٢١) "وَبَعْدَ أَيَّامٍ لَيْسَتْ بِكَثِيرَةٍ جَمَعَ الْإِبْنُ الْأَصْغَرُ كُلَّ شَيْءٍ وَسَافَرَ إِلَى كُورَةِ بَعِيدَةٍ، وَهُنَاكَ بَذَرَ مَالَهُ بَعِيشٍ مُسْرِفٍ" (لو ١٥:١٣).

(٢٢) "وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ قَدْ تَعَدَّى عَلَى شَرِيعَتِكَ، وَحَادُوا لِيَلَّا يَسْمَعُوا صَوْتَكَ، فَسَكَبْتَ عَلَيْنَا اللَّعْنَةَ وَالْحَلْفَ الْمَكْتُوبَ فِي شَرِيعَةِ مُوسَى عَبْدِ اللَّهِ، لِأَنَّنَا أَخْطَأْنَا إِلَيْهِ" (دا ٩:١١).

"لَكِنْ قَدْ مَلَكَ الْمَوْتُ مِنْ آدَمَ إِلَى مُوسَى، وَذَلِكَ عَلَى الَّذِينَ لَمْ يُخْطِئُوا عَلَى شِبْهِ تَعَدِّي آدَمَ" (رو ٥:١٤).

"كُلُّ مَنْ يَفْعَلُ الْخَطِيئَةَ يَفْعَلُ التَّعَدِّيَ أَيْضًا. وَالْخَطِيئَةُ هِيَ التَّعَدِّي"

(١ يو ٣:٤).

وقد تمثلت كل هذه المعاني في سقطة آدم الأول: فقد عصى، وانحرف، وابتعد، وتعدى، وخان... إلخ.

وهذا ما عبّر عنه الكتاب المقدس، عندما استخدم كلمات عديدة، ليصف بها الخطية، سواءً في اللغة العبرية في العهد القديم، أو اللغة اليونانية في العهد الجديد.

واستخدام أكثر من لفظ لغوي عن الخطية، لا يمثل مترادفات، أو بلاغة لغوية فقط، لكنه بالأحرى يصف أوجهًا عديدة للخطيئة. لذلك فإن الألفاظ اليونانية المستخدمة في الكتاب المقدس للتعبير عن معنى "الخطية"، هي كلمات كثيرة ذات معانٍ عديدة:

- ἁμαρτία همارتيا (أخطأ الهدف).
- ἀνομία آنوميا (مخالفة الناموس).
- παραπτώμα بارابتوما (السقوط المتعمد أي الإثم).
- παράβασις باراقاسيس (التعدي).
- ὀφειλήμα أوفيلهما (دين debt).
- ἀδικία أديكيا (عدم الصلاح أو فعل الظلم).

(٢٣) "لَأَنَّ شَعْبِي أَحْمَقُ. إِنِّي لَمْ يَعْرِفُوا. هُمْ بَنُونَ جَاهِلُونَ وَهُمْ غَيْرُ فَاهِمِينَ. هُمْ حُكَمَاءُ فِي عَمَلِ الشَّرِّ، وَلِعَمَلِ الصَّالِحِ مَا يَفْهَمُونَ" (إر ٢٢: ٤).

وكذلك الكلمات العبرية:

חַטָּא (حطا) خطية. - אָשָׁם (أشم) إثم، ذنب/ خيانة.

עָוָן (عاون) (عافون بالعبرية الحديثة). - מַעַל (معل) تعدي.

وكانعكاس لهذه الجوانب المتعددة للخطية ، يمكن ان نفهم لماذا كانت الذبائح في العهد القديم متعددة في أنواعها، من ذبيحة خطية، وذبيحة إثم، وذبيحة محرقة، وذبيحة سلامة، وتقدمة قربان^(٢٤)، وذبيحة تيس عزازيل^(٢٥)، وذبيحة الفصح^(٢٦)..

ومعلوم أن جميع هذه الذبائح كانت تشير إلى الذبيحة الواحدة العظيمة التي لربنا يسوع المسيح المتعددة الجوانب.

"شبهوا رئيس الكهنة بمخلصنا الذبيحة الحقيقية لمغفرة الخطايا. هذا الذي أصدد ذاته ذبيحة مقبولة على الصليب عن خلاص جنسنا.

^(٢٤) راجع اللاويين الإصحاحات من (١-٧).

^(٢٥) "وَيُلْقِي هَارُونُ عَلَى التَّيْسَيْنِ قُرْعَتَيْنِ: قُرْعَةً لِلرَّبِّ وَقُرْعَةً لِعَزَازِيلَ. وَيَقْرَبُ هَارُونُ التَّيْسَ الَّذِي خَرَجَتْ عَلَيْهِ الْقُرْعَةُ لِلرَّبِّ وَيَعْمَلُهُ ذَبِيحَةً خَطِيئَةً. وَأَمَّا التَّيْسُ الَّذِي خَرَجَتْ عَلَيْهِ الْقُرْعَةُ لِعَزَازِيلَ فَيُوقَفُ حَيًّا أَمَامَ الرَّبِّ، لِيُكْفَرَ عَنْهُ لِيُرْسِلَهُ إِلَى عَزَازِيلَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ" (لا ١٦: ٨-١٠).

^(٢٦) راجع الخروج الإصحاح ١٢.

فاشتمّه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجلة. فتح باب الفردوس ورد آدم إلى رئاسته مرة أخرى. من قبل مريم أبنة يواقيم عرفنا الذبيحة الحقيقية لمغفرة الخطايا^(٢٧).

"وَأَمَّا الْمَسِيحُ، وَهُوَ قَدْ جَاءَ رَئِيسَ كَهَنَةِ الْخَيْرَاتِ الْعَتِيدَةِ، فَبِالْمَسْكَنِ الْأَعْظَمِ وَالْأَكْمَلِ، غَيْرِ الْمَصْنُوعِ بِيَدٍ، أَيْ الَّذِي لَيْسَ مِنْ هَذِهِ الْخَلِيقَةِ، وَلَيْسَ بِدَمِ ثِيُوسٍ وَعُجُولٍ، بَلْ بِدَمِ نَفْسِهِ، دَخَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى الْأَقْدَاسِ، فَوَجَدَ فِدَاءً أَبَدِيًّا. لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ دَمُ ثِيرَانٍ وَثِيُوسٍ وَرَمَادُ عِجَلَةٍ مَرَشُوشٌ عَلَى الْمُتَجَسِّسِينَ، يُقَدَّسُ إِلَى طَهَارَةٍ الْجَسَدِ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِرُوحِ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلَّهِ بِلَا عَيْبٍ، يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَالٍ مَيِّتَةٍ لِتَخْدِمُوا اللَّهَ الْحَيَّ!" (عب ٩: ١١-١٤).

فيقول القديس أثناسيوس الرسولي العظيم: "لذلك قدّم للموت، ذلك الجسد الذي اتخذه لنفسه، كتقدمة مقدسة، وذبيحة خالية من كل عيب. وببذله لهذا الجسد كتقدمة مناسبة، فإنه رفع الموت فوراً عن جميع نظرائه البشر"^(٢٨).

^(٢٧) تسبحة نصف الليل - القطعة الخامسة عشر من ثيوطوكية الأحد (افئين بي أرشي).

^(٢٨) القديس أثناسيوس الرسولي، تجسد الكلمة (٩/ ٢).

ويقول القديس العظيم كيرلس الكبير: "إذا فالذبيحة المقدسة التي
تقدم لأجل الخطية، ليست هي إلا عمانوئيل، الذي هو الحمل
الحقيقي الذي يرفع خطايا العالم، وقد قدم ذبيحة بدلاً من المحرقة.
لأن المسيح لم يكن قدوساً جزئياً مثلنا "لأنه لم يفعل خطية"، بل
كان بالكامل رائحة ذكية، ومقدساً، ويمنح القداسة للجميع"^(٢٩).
"لأنه لأجلها (الكنيسة) قدم نفسه ذبيحة، وأقام فيها مذبحه،
وحيث هو المقدم للذبيحة، قدم ذاته كذبيحة على شكل ومثال
الثور الذي يدرس الغلال، وصار ذبيحة ومحرقة وسلامة"^(٣٠).

"سر الآلام يمكن رؤيته في مثال آخر. لأنه حسب الناموس الموسوي
كان يُقدم ثنسين، لا يختلفان في شيء عن بعضهم البعض، بل
متماثلان في الحجم والمنظر. واحد هذين، كان يسمى "الرب"،
والآخر "المرسل بعيداً". وحينما يتم إلقاء القرعة على الذي كان
يسمى "الرب" كان يتم ذبحه؛ بينما الآخر كان يُرسل بعيداً عن
الذبح؛ ولذلك كان يسمى "المرسل بعيداً" ومن هو المشار إليه بهذا؟
الكلمة، على الرغم من أنه كان إله، كان في شبهنا، وأخذ شكلنا

(٢٩) القديس كيرلس الكبير، السجود والعبادة بالروح والحق، المقالة الثانية
عشر، ترجمة د. جورج عوض، الطبعة الأولى ٢٠١٧م.

(٣٠) القديس كيرلس الكبير، السجود والعبادة بالروح والحق المقالة الثالثة،
ترجمة د. جورج عوض، الطبعة الأولى ٢٠١٧م.

نحن الخطاة، فيما كان يخص طبيعة الجسد. التيس، إذا، ذكراً أو أنثى كان يُذبح من أجل الخطايا. ولكن كان الموت هو ما نستحقه نحن، لأننا بالخطية قد سقطنا تحت اللعنة الإلهية. لكن حينما مخلص الجميع نفسه، كما نقول، أخذ على نفسه التهمة (العبء)، فإنه نقل إلى نفسه ما كنا نستحقه (الموت)، ووضع حياته، لكي نرسل بعيداً عن الموت والهلاك^(٣١).

"من كل ما تقدم يظهر لنا بوضوح تام أن الناموس منح الجنس المقدس والمختار كل نوع من أنواع الذبائح والتقدمات، وكذلك التقديمات التي تُقدّم عن كل إثم وعن كل الخطايا، أي ذبائح الإثم وذبائح الخطية. ولأن اسم الذبائح المُقدّمة لأجل الخطية هو "خطية خطية"، لذلك استخدم أيضاً بولس الحكيم ناموسياً نفس الكلمة على المسيح قائلاً: "إِذَا نَسَعَى كَسْفَرَاءَ عَنِ الْمَسِيحِ، كَأَنَّ اللَّهَ يَعْظُ بِنَا. نَطْلُبُ عَنِ الْمَسِيحِ: تَصَالَحُوا مَعَ اللَّهِ أَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيئَةً، خَطِيئَةً لِأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللَّهِ فِيهِ" (٢كو ٥: ٢٠-٢١)، لأن الابن وفق الكتاب (إش ٥٣: ٥) ذُبح لأجل خطايانا كحمل بلا عيب. وكون أن الذبائح قد ذُبجت لأجل خطايانا، لذا فقد أعطاها الناموس اسم "خطية"^(٣٢).

(٣١) القديس كيرلس الكبير، العظة (٥٣)، على شرح إنجيل القديس لوقا.

(٣٢) القديس كيرلس الكبير، السجود والعبادة بالروح والحق، المقالة الثانية

عشر، ترجمة د. جورج عوض، الطبعة الأولى ٢٠١٧، (ص ٥١٤).

خلاصة القول :

- ١- الإنسان خلق على صورة الله.
 - ٢- الخطية أفقدت الإنسان تميزه كصورة لله.
 - ٣- الخلاص يتم باستعادة الإنسان لهذه الصورة بكل تفاصيلها.
 - ٤- وضحت هذه الحقيقة عندما استخدم الكتاب المقدس لكلمات كثيرة تعبر عن الخطية، وعن تعدد أثارها في الطبيعة البشرية الساقطة في آدم.
 - ٥- كذلك وضحت نفس الحقيقة، عندما أمر الله موسى بتقديم أنواع متعددة من الذبائح الدموية، في العهد القديم.
 - ٦- كل هذه الذبائح كانت إشارة لذبيحة المسيح الواحدة، متعددة الجوانب.
- فإذا كنا لا نستطيع أن نحصر معنى الخطية في دلالة واحدة. وكذلك نتائجها المتعددة على الكيان البشري، لذلك كان الخلاص منها، لابد أن يسير في اتجاهات متعددة كثيرة.



أوجه ما عمله المسيح معنا وفيما

يقول القديس أثناسيوس الرسولي: "وهكذا إذ اتخذ جسداً مماثلاً لطبيعة أجسادنا، وإذ كان الجميع خاضعين للموت والفساد، فقد بذل جسده للموت: عوضاً عن الجميع، وقدمه للآب. كل هذا فعله من أجل، محبته للبشر أولاً؛ لكي إذ كان الجميع قد ماتوا فيه، فإنه يبطل عن البشر ناموس الموت والفناء، ذلك لأن سلطان الموت قد استنفذ في جسد الرب، فلا يعود للموت سلطان على أجساد البشر (المماثلة لجسد الرب). ثانياً: وأيضاً فإن البشر الذين رجعوا إلى الفساد بالمعصية: يعيدهم إلى عدم الفساد ويحييهم من الموت بالجسد الذي جعله جسده الخاص، وبنعمة القيامة. يبيد الموت منهم كما تبيد النار القش^(١)."

يتضح من هذا النص الجامع الشامل أن القديس أثناسيوس الرسولي في شرحه لتدبير الخلاص قد أبرز نقاط عديدة:

- ١- عوض عن الجميع.
- ٢- قدم جسده للآب.
- ٣- أعلن محبته للبشر.
- ٤- الجميع ماتوا فيه.

(١) القديس أثناسيوس الرسولي، تجسد الكلمة (٨ / ٤).

٥- أبطل عن البشر ناموس الموت والفناء.

٦- استتفد سلطان الموت فى جسد الرب.

٧- أعاد البشر إلى عدم الفساد.

٨- أباد الموت من الطبيعة البشرية.

"فلقد أدرك الكلمة جيداً أنه لم يكن ممكناً أن يُقضى على فساد البشرية بأى طريقة أخرى سوى: الموت نيابة عن الجميع. ومن غير الممكن أن يموت الكلمة لأنه غير مائت بسبب أنه هو ابن الآب غير المائت. ولهذا اتخذ لنفسه جسداً قابلاً للموت حتى إنه عندما يتحد هذا الجسد بالكلمة الذي هو فوق الجميع، يصبح جديراً ليس فقط أن يموت نيابة عن الجميع، بل ويبقى في عدم فساد بسبب اتحاد الكلمة به. ومن ذلك الحين فصاعداً يُمنع الفساد من أن يسرى في جميع البشر بنعمة القيامة من الأموات. لذلك قَدِمَ للموت ذلك الجسد الذي اتخذه لنفسه كتقدمة مقدسة وذبيحة خالية من كل عيب. وببذله لهذا الجسد كتقدمة مناسبة، فإنه رفع الموت فوراً عن جميع نظرائه البشر. ولأن كلمة الله هو فوق الجميع فقد كان لائقاً أن يقدم هيكله الخاص وأداته البشرية. فدية عن حياة الجميع. موفياً دين الجميع بموته^(٢).

(٢) القديس أنثاسيوس الرسولى، تجسد الكلمة الفصل (٩ / ١-٢).

واضح من تعليم القديس أثناسيوس الرسولي، معلم الكنيسة، أنه لم يكتفِ بشرح واحد، أو بجانب واحد، في تفسير ما عمله السيد المسيح من أجلنا، بل كان له نظرة شمولية، متعددة الجوانب:



- ١- الموت نيابة عن الجميع.
- ٢- يمنع الفساد عن الطبيعة البشرية.
- ٣- قدّم جسده تقدمة عن البشر.
- ٤- رفع الموت عن البشر.
- ٥- قدم جسده فدية عن حياة الجميع.
- ٦- وفى دين الجميع بموته.

فالخطأ في الفكر اللاهوتي يبدأ حينما يركز المرء على جانب واحد، ويتجاهل الجوانب الأخرى، كمن يقول أن الصليب هو حب فقط، متجاهلاً باقي الأبعاد الخلاصية.

مع ملاحظة أن كلمة هرطوقي في أصلها اليوناني معناها الإنتقاء، أي انتقاء جانب واحد والتركيز عليه، وتضخيمه؛ فيصير هرطقة، حتى لو كان صحيحاً في وسط سياقه، ومع الجوانب الأخرى.

فما عمله الرب يسوع معنا، ولأجل خلاصنا، هو عمل ضخم متعدد الجوانب.

مفاعيل التجسد والفداء

١- شفاء الطبيعة البشرية

جاء ربنا يسوع المسيح طبيباً^(١)، شافياً، وخلصنا، بأن شفانا من الفساد (المسيح الطبيب الحقيقي).

إنه الطبيب الذي بحث عنه إرميا النبي في نبوته: "أَلَيْسَ بَلْسَانَ فِي جِلْعَادَ، أَمْ لَيْسَ هُنَاكَ طَبِيبٌ؟ فَلِمَ أَذًا لَمْ تُعْصَبْ بِنْتُ شَعْبِي؟" (إر ٢٢: ٨).

وكانت نظرة الرب يسوع للخاطئ، أنه مريض يحتاج العلاج، أكثر من كونه مجرم يستحق العقوبة.

"لَا يَحْتَاجُ الْأَصْحَاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى. فَادْهَبُوا وَتَعَلَّمُوا مَا هُوَ: إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لَا ذَبِيحَةً، لِأَنِّي لَمْ آتِ لِأَدْعُو أَبْرَارًا بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ" (مت ٩: ١٣-١٢).

يقول القديس اكليمنس السكندري: "كثير من الشهوات يتم معالجتها بالعقوبة وبفرض أوامر قاسية (شديدة) وعلى وجه الخصوص، بواسطة تعليم مبادئ معينة. التوبيخ يُشبه القيام

(١) "أيها الطبيب الحقيقي، الذي لأنفسنا، وأجسادنا" أوشية المرضى.

بعملية جراحية لشهوات النفس؛ فالشهوات تشبه مرضاً أصاب الحقيقة، ويحتاج إلى الإستئصال بواسطة سكين الجراح^(٢).

بهذا العمل الشفائي تم معالجة الفساد الذي أصاب الطبيعة البشرية "وهكذا باتخاذ جسدًا مماثلاً لجسد جميع البشر وباتحاده بهم، فإن ابن الله عديم الفساد ألبس الجميع عدم الفساد بوعده القيامة من الأموات. ولم يعد الفساد الفعلي بالموت له أى سلطان على البشر بسبب الكلمة الذي جاء وسكن بينهم بواسطة جسده"^(٣).

"وَهُوَ مَجْرُوحٌ لِأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لِأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبٌ سَلَامِنَا عَلَيْهِ، وَبَحْبُرِهِ شَفِينَا" (إش ٥٣: ٥-٤).

فالجسد الخاص الذي لربنا يسوع المسيح، بسبب اتحاده باللاهوت غير المائت، صار أقوى من الموت^(٤)، وهزم الموت، وهدمه^(٥)، وصار مصدر حياة من الموت، وشفاء من فساد الطبيعة، التي أصابتنا، بسبب خطية آدم، وخطايانا الشخصية، وذلك لكل من يتحد به، في المعمودية، والإفخارستيا.

(٢) القديس اكليمنديس السكندري، كتاب المربي، الكتاب الأول، الفصل الثامن.

(٣) القديس أثناسيوس الرسولي، تجسد الكلمة (٩ / ٢).

(٤) "الَّذِي أَقَامَهُ اللَّهُ نَاقِضًا أَوْجَاعَ الْمَوْتِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ مُمَكِّنًا أَنْ يُفْسِكَ مِنْهُ" (٢٤: ٢٤١).

(٥) "والموت الذى دخل إلى العالم بحسد إبليس هدمته، بالظهور المحي الذى لابنك الوحيد.." (صلاة الصلح الباسيلي).

٢- الموت نيابة عن البشر

فإذ هو غير مائت، أخذ جسداً قابلاً للموت؛ ليزوق به الموت^(٦)، المحكوم به على الجميع بسبب خطية آدم، وخطايانا الشخصية، فيموت نيابة عنا، وبذلك يدفع الدين الذي كان علينا، ويصون صدق^(٧) الآب من جهة الجميع، لأن حكم الآب هو أن "أَجْرَةَ الْخَطِيئَةِ هِيَ مَوْتُ" (رو ٦: ٢٣)، "يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ" (تك ٢: ١٧).

"معروف هو الرب، بتنفيذ قضائه. الشرير يعلق بعمل يديه"
(مز ٩: ١٦س).

يقول القديس كيرلس الكبير: "فالعنة موضوعة لنا وليس لغيرنا. أولئك المتهمون بتعدي الناموس والذين يميلون بسهولة للانحراف عن وصاياهم الأشخاص الذين يستحقون العقوبة. لذلك الشخص الذي لم يعرف خطية (أي السيد المسيح) كان ملعوناً من أجلنا (أي حمل العنة نيابة عنا)؛ لكي يُنقذنا من العنة

(٦) "يا من ذاق الموت بالجسد في وقت الساعة التاسعة من أجلنا نحن الخطاة" (الأجبية).

(٧) القديس أنثاسيوس الرسولي "لأنه كان هو وحده القادر أن يأتي بالفساد إلى عدم الفساد وأيضاً أن يصون صدق الآب من جهة الجميع. وحيث إنه هو كلمة الآب ويفوق الكل، كان هو وحده القادر أن يعيد خلق كل شيء وأن يتألم عوض الجميع وأن يكون شفيعاً عن الكل لدى الآب" (تجسد الكلمة ٧ / ٥).

القديمة. الله، الذي هو فوق الجميع، كان كافياً ليعاني هذا نيابة عن الجميع ولشراء فداء لأجل الجميع بواسطة موت جسده الخاص^(٨).

وفي شرح (لماذا الصليب بالذات) قال القديس أثناسيوس الرسول: "لأنه إن كان قد جاء ليحمل اللعنة الموضوعة علينا، فكيف كان ممكناً أن (يصير لعنة) بأي طريقة أخرى ما لم يكن قد قُبلَ موت اللعنة الذي هو (موت) الصليب؟ لأن هذا هو المكتوب: "ملعون كل من علق على خشبة"^(٩). وإضافة إلى ذلك، إن كان موت الرب هو فدية عن الجميع، وبواسطة موته هذا نقض "حائط السياج

(8) The curse applies to us and not to others. Those who are charged with the transgression of the law and who are very prone to stray from its decrees would be the ones who deserve punishment. So the one who knew no sin was cursed for us in order to rescue us from the ancient curse. God, who is over all, was sufficient to suffer this on behalf of all and to purchase redemption for all through the death of his own flesh.

Cyril of Alexandria (2013-2015). Commentary on John. (J. C. Elowsky, T.C. Oden, & G. L. Bray, Eds., D. R. Maxwell, Trans.) (Vol. 2, pp. 342-343). Downers Grove, IL: IVP Academic: An Imprint of Inter Varsity Press. Cyr. Alex., In (Jo. 12), (John 19:16-18).

تفسير إنجيل يوحنا الإصحاح التاسع عشر، للقديس كيرلس الكبير (يو ١٦: ١٨-١٩).
(٩) "الْمَسِيحُ أَفْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لَأَجْلِنَا، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِقَ عَلَى خَشَبَةٍ" (غل ٣: ١٣).

المتوسط"^(١٠)، وصارت الدعوة لجميع الأمم، فكيف كان ممكناً أن يدعونا إليه لو لم يكن قد صُلب؟"^(١١).

حقاً قال الرب يسوع "أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ، وَالرَّاعِي الصَّالِحُ يَبْذُلُ نَفْسَهُ عَنِ الْخِرَافِ" (يو ١٠: ١١)، "وَأَنَا أَضَعُ نَفْسِي عَنِ الْخِرَافِ" (يو ١٥: ١٠).

لقد كان لابد من موت المسيح على الصليب ليحمل عنا عقوبة خطايانا.

✠ "إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُسَلَّمَ ابْنُ الْإِنْسَانِ فِي أَيْدِي أَنْاسٍ خُطَاةٍ، وَيُصَلَّبَ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ" (لو ٢٤: ٧).

✠ "وَبِدُونِ سَفْكِ دَمٍ لَا تَحْصُلُ مَغْفِرَةٌ!" (عب ٩: ٢٢).

ويشرح معلمنا القديس أثناسيوس الرسولي حقيقة الموت النيابي في كتاب تجسد الكلمة، في أكثر من موضع: "وهكذا تم (في جسد المسيح) إعلان متناقضان في نفس الوقت: الأول هو: أن موت الجميع قد تم في جسد الرب (على الصليب) والثاني: هو أن الموت والفساد، قد أبيدا من الجسد بفضل اتحاد الكلمة به. فلقد كان الموت حتمياً، وكان لابد أن يتم الموت نيابة عن الجميع؛ لكي يوفى الدين (أي الموت) المستحق على الجميع"^(١٢).

(١٠) "لأنه هو سلامنا، الذي جعل الاثنين واحداً، ونَقَضَ حَائِطَ السِّيَاجِ الْمَتَوَسِّطِ، أَيِ الْعَدَاوَةِ. مُبْطِلًا بِجَسَدِهِ نَامُوسَ الْوَصَايَا فِي فَرَائِضَ، لِكَيْ يَخْلُقَ الْاِثْنَيْنِ فِي نَفْسِهِ إِنْسَانًا وَاحِدًا جَدِيدًا، صَانِعًا سَلَامًا" (اف ٢: ١٤-١٥).

(١١) القديس أثناسيوس الرسولي، تجسد الكلمة الفصل الخامس والعشرون.

(١٢) القديس أثناسيوس الرسولي، تجسد الكلمة (٢٠ / ٥).

هذان الإعلان المتناقضان هما:

١ - الموت نيابة عن الجميع. ٢ - منح الجميع نعمة الحياة الأبدية.

الأول تم يوم الجمعة العظيمة، والثاني تم يوم الخميس الكبير، ويتم كل يوم بالإفخارستيا. لذلك قيل عن السيد المسيح أنه الحمل حامل خطية العالم "هُوَذَا حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ!" (يو ١: ٢٩)، وفي نفس الوقت هو "خُبْزَ اللَّهِ.. النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ الْوَاهِبُ حَيَاةً لِلْعَالَمِ" (يو ٦: ٣٣).

وتكلم الآباء عن مبادلة المسيح عنا "بذل ابنه الوحيد كفدية لأجلنا، القدوس من أجل العصاة، والذي بلا لوم من أجل الأشرار، والبار من أجل الأثمة، وغير الفاسد من أجل الفاسدين، وغير المائت من أجل المائتين.. ما أجمل هذه المبادلة!"^(١٣).

✠ "كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِنَّا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا" (إش ٥٣: ٦).

✠ "الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لِأَجْلِنَا، لِكَيْ يَفْدِيَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَيُطَهِّرَ لِنَفْسِهِ شَعْبًا خَاصًّا غَيْرًا فِي أَعْمَالٍ حَسَنَةٍ" (تي ٢: ١٤).

^(١٣) الرسالة إلى ديوجينيتوس، ترجمة بولين تدري، المركز الأرثوذكسي لدراسات الآباء، (صفحة ٢٥).

✠ "فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الْأَثَمَةِ، لِكَيْ يُقَرَّبَنَا إِلَى اللَّهِ، مُمَاتًا فِي الْجَسَدِ وَلَكِنْ مُخْيًى فِي الرُّوحِ" (ابط ٣: ١٨).

✠ "لَأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيئَةً، خَطِيئَةً لِأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَ اللَّهِ فِيهِ" (٢كو ٥: ٢١).

✠ وبهذا الموت النيابي حررنا الرب يسوع من سلطان الخطية والموت "أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ الْخَطِيئَةَ هُوَ عَبْدٌ لِلْخَطِيئَةِ. وَالْعَبْدُ لَا يَبْقَى فِي الْبَيْتِ إِلَى الْأَبَدِ، أَمَّا الْابْنُ فَيَبْقَى إِلَى الْأَبَدِ. فَإِنْ حَرَّرَكُمُ الْابْنُ فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أحرَارًا" (يو ٨: ٣٤-٣٦).

✠ "فَاتَّبِعُوا إِذَا فِي الْحُرِّيَّةِ الَّتِي قَدْ حَرَّرَنَا الْمَسِيحُ بِهَا، وَلَا تَرْتَبِكُوا أَيْضًا بِنِيرِ عُبُودِيَّةٍ" (غل ٥: ١).

٣- هزيمة الموت

لقد منحنا الحياة، بدلاً من الموت الذي أمسك بجنسنا.

✠ "فَإِنَّهُ إِذَا الْمَوْتُ بِإِنْسَانٍ، بِإِنْسَانٍ أَيْضًا قِيَامَةُ الْأَمْوَاتِ. لِأَنَّهُ كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ، هَكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيُخْيَا الْجَمِيعُ" (١كو ١٥: ٢١-٢٢).

✠ "اللَّهُ الَّذِي هُوَ غَنِيٌّ فِي الرَّحْمَةِ، مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا، وَخَضَ أَمْوَاتَ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ - بِالنِّعْمَةِ أَنْتُمْ مُخَلَّصُونَ" (أف ٢: ٥٤).

"أسلم نفسه - فداءً عنا - إلى الموت، الذي تملك علينا، هذا الذي كنا ممسكين به، مبيعين، من قبل خطايانا" (١٤).

عندما قام الرب يسوع من الأموات أعلن أنه أَمَاتِ الموت بموته، ووعدنا بالقيامة من الأموات، وبعدم الفساد في الحياة الأبدية، يا من بموته أَمَاتِ الموت، ذاك الذي قتل الجميع" (١٥).

"بالموت داس الموت، والذين في القبور أنعم لهم، بالحياة الأبدية" (١٦).

✠ "وَهَذِهِ مَشِيئَةُ الْآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي: أَنْ كُلَّ مَا أُعْطَانِي لَا أُتْلِفُ مِنْهُ شَيْئًا، بَلْ أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ. لِأَنَّ هَذِهِ هِيَ مَشِيئَةُ الَّذِي أَرْسَلَنِي: أَنْ كُلَّ مَنْ يَرَى الْابْنَ وَيُؤْمِنُ بِهِ تَكُونُ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ" (يو ٦: ٣٩-٤٠).

✠ "لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَقْبَلَ إِلَيَّ إِنْ لَمْ يَجْتَذِبْهُ الْآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ" (يو ٦: ٤٤).

(١٤) القديس الباسيلي.

(١٥) قسمة سنوي.

(١٦) لحن القيامة المقدسة.

✠ "الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ" (يو ٦: ٤٧).
 ✠ "مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَأَنَا أَقِيمُهُ فِي
 الْيَوْمِ الْآخِرِ" (يو ٦: ٥٤).

٤- تسديد الدين الذي كان علينا

"فلقد كان الموت حتميًا، وكان لابد أن يتم الموت نيابة عن الجميع؛
 لكي يوفى الدين المستحق على الجميع" (١٧).

واضح من آخر عبارة في النص السابق أن الموت النيابي معناه،
 تسديد الدين المستحق على الجميع، كما شرح السيد المسيح في مثل
 العبد المديون.

✠ "فَلَمَّا ابْتَدَأَ فِي الْمُحَاسَبَةِ قُدِّمَ إِلَيْهِ وَاحِدٌ مَدْيُونٌ بِعَشْرِ آلَافٍ
 وَزَنَةِ. وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَا يُوفِي أَمَرَ سَيِّدُهُ أَنْ يُبَاعَ هُوَ وَأَمْرَأَتُهُ
 وَأَوْلَادُهُ وَكُلُّ مَا لَهُ، وَيُوفَى الدَّيْنُ. فَخَرَّ الْعَبْدُ وَسَجَدَ لَهُ قَائِلًا:
 يَا سَيِّدُ، تَمَهَّلْ عَلَيَّ فَأُوفِيكَ الْجَمِيعَ. فَتَحَنَّنَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْعَبْدِ
 وَأَطْلَقَهُ، وَتَرَكَ لَهُ الدَّيْنَ" (مت ١٨: ٢٤-٢٧).

يقول القديس كيرلس الكبير: "لأن بآلامه حلت علينا بركات.
 وهو دفع ديوننا بدلًا منا؛ وهو حمل خطايانا؛ وكما هو مكتوب "هو
 كان مضروبًا بدلًا منا" (إش ٥٣: ٦س)، "وهو أخذهم (خطايانا) في

(١٧) القديس أنثاسيوس الرسولي، تجسد الكلمة (٢٠ / ٥).

جسده الخاص على الخشبة^(١٨) (ابط ٢: ٢٤). لأنه حقًا "بِحَبْرِهِ شَفِينًا" (إش ٥٣: ٥)^(١٩).

ونفس الحقيقة يشرحها أبونا الطوباوي مصباح الأرثوذكسية القديس أثناسيوس الرسولي: "ولما كان من الواجب وفاء الدين المستحق على الجميع، إذ - كما بينا سابقًا - كان الجميع مستحقين الموت، فلأجل هذا الغرض جاء المسيح بيننا. وبعدها قدم براهيتنا كثيرة على ألوهيته بواسطة أعماله في الجسد فإنه قدم ذبيحته عن الجميع، فأسلم هيكله للموت عوضًا عن الجميع، أولاً: لكي يبرّرهم ويحرّرهم من العصية الأولى، وثانيًا: لكي يثبت أنه أقوى من الموت، مظهرًا جسده الخاص أنه عديم الفساد، وأنه باكورة لقيامة الجميع"^(٢٠).

فالسيد المسيح، بموته على الصليب، نيابة عن جنس البشر، قد وفى العقوبة المقررة على الإنسان.

فقد حمل عنا العار واللعنة التي أصابت جنس البشر، بسبب الخطية، وكذلك حمل عنا عقوبة خطايانا، وحولها إلى خلاص، وذلك بقبوله

^(١٨) "الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسَهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشْبَةِ، لِكَيْ نَمُوتَ عَنْ الْخَطَايَا فَتَحْيَا لِلْبَرِّ. الَّذِي بَجَلَدَتِهِ شَفِينُمْ" (ابط ٢: ٢٤).

^(١٩) القديس كيرلس الكبير، عظة رقم (١٥٣) على شرح إنجيل القديس لوقا.

^(٢٠) القديس أثناسيوس الرسولي، تجسد الكلمة (٢٠ / ٢).

الموت مصلوبًا على خشبة العار واللعنة^(٢١)، ليحولها إلى أعظم علامة
فخر وبركة.

يقول القديس كيرلس الكبير: "اليوم الثامن الذي فيه أتى المسيح
ثانيةً إلى الحياة مسمّرًا في صليبه الصك الذي كان علينا "إِذْ مَحَا
الصَّكَّ الَّذِي عَلَيْنَا فِي الْفَرَائِضِ، الَّذِي كَانَ ضِدًّا لَنَا، وَقَدْ رَفَعَهُ مِنَ
الْوَسْطِ مُسَمَّرًا إِيَّاهُ بِالصَّلِيبِ" (كو ٢: ١٤)، ومات لأجل الجميع لكي
يُبْعِدَنَا عَنِ الْمَوْتِ وَالْخَطَايَا، وَيُخْلَصَنَا مِنَ الْعِقَابِ وَالْآلَامِ"^(٢٢).

"إِذْنِ، فَعِنْدَمَا يَقُولُونَ إِنَّ كَلِمَةَ اللَّهِ لَمْ يَصِرْ جَسَدًا، أَي لَمْ يُوَلَدْ
بِحَسَبِ الْجَسَدِ مِنْ امْرَأَةٍ، فَإِنَّهُمْ يُبْطِلُونَ تَدْبِيرَ الْخَلَاصِ. لِأَنَّهُ إِنْ
لَمْ يَفْتَقِرْ وَيَخْلِي ذَاتَهُ وَيَأْخُذْ مَا يَخْصُنَا مِنْ أَجْلِ مُحِبَّتِهِ لِلْبَشَرِ،
مَا كَانَ فِي إِمْكَانِنَا أَنْ نَكْتَسِبَ كُلَّ مَا لَهُ، بَلْ نَظَلْ مَقِيدِينَ بِقِيُودِ
فَقْرِنَا وَبِالْعَنَةِ وَبِمَوْتِ الْخَطِيئَةِ. لِأَنَّ تَجَسُّدَ الْكَلِمَةِ أَبْطَلَ مَا حُلُّ
بِالطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ مِنْ لَعْنَةٍ وَعَقُوبَةٍ. إِذْنِ، مَا الَّذِي يَبْقَى مَعَنَا بَعْدَ
لَوْ اقْتَلَعُوا جَذَرَ خَلَاصِنَا، وَهَدَمُوا أَسَاسَ رَجَائِنَا؟ لِأَنَّهُ - كَمَا قُلْتُ -
إِنْ لَمْ يَصِرِ الْكَلِمَةُ جَسَدًا، مَا كَانَتْ قُوَّةُ الْمَوْتِ قَدْ قُهِرَتْ،

(٢١) "الْمَسِيحُ أَقْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لِأَجْلِنَا، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ:
مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِقَ عَلَى خَشْبَةٍ" (غل ٣: ١٣).

(٢٢) القديس كيرلس الكبير - السجود والعبادة بالروح والحق، المقالة السابعة
عشر: عن الأعياد المقدسة.

ولا الخطية أبطلت بأية طريقة، ولظللنا نحن مقيدون بسبب عصيان الإنسان الأول، أقصد آدم، بدون أي إعادة تجديد، أقصد بدون تغيير للأفضل بواسطة المسيح مخلص الجميع^(٢٣).

لاحظ هنا قارئ العزيز، أن القديس كيرلس الكبير يشرح أن اللعنة والموت الواقعان على الجنس البشري، هما عقوبة، وليس مجرد نتيجة فقط، كما يدعون.

لذلك فربنا يسوع المسيح هو المخلص الحقيقي لجنس البشر الذي قيل عنه: "وَلَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلَّاصُ. لِأَن لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ، قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ، بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ" (أع ٤: ١٢).

لقد خلصنا الرب يسوع، بأن مات عنا، ولأجلنا؛ ومحا صك خطايانا، الذي كان ضدنا، ورفع عنا حكم الموت الذي وقع على جنسنا، بسبب خطية آدم، وبسبب خطايانا الشخصية الفعلية.

✠ "صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ وَمُسْتَحَقَّةٌ كُلُّ قُبُولٍ: أَنَّ الْمَسِيحَ يَسُوعَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِيُخَلِّصَ الْخُطَاةَ الَّذِينَ أَوْلَهُمْ أَنَا" (أتي ١: ١٥).

(٢٣) القديس كيرلس الكبير - عن وحدة المسيح:

St Cyril of Alexandria (1995). On the Unity of Christ (J. Behr, Ed., J. A. McGuckin, Trans.) (Vol. 13, pp. 59-60). Crestwood, NY: St Vladimir's Seminary Press.

✠ "أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمْ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلَّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ"
(لو ٢: ١١).

✠ "وَقَالُوا لِلْمَرْأَةِ: إِنَّا لَسْنَا بَعْدُ بِسَبَبِ كَلَامِكَ نُؤْمِنُ، لَأَنَّا نَحْنُ
قَدْ سَمِعْنَا وَنَعْلَمُ أَنَّ هَذَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ الْمَسِيحُ مُخَلَّصُ الْعَالَمِ"
(يو ٤: ٤٢).

✠ "لَأَنَّا لِهَذَا نَتَعَبُ وَنُعِيرُ، لَأَنَّا قَدْ أَلْقَيْنَا رَجَاءَنَا عَلَى اللَّهِ
الْحَيِّ، الَّذِي هُوَ مُخَلَّصُ جَمِيعِ النَّاسِ، وَلَا سِيمًا الْمُؤْمِنِينَ"
(اتي ٤: ١٠).

فالسيد المسيح هو مخلصنا الصالح، لأنه سدد دين البشر بموته.

"هم الآن يقتادون رئيس الحياة ليموت. ومع ذلك، حتى هذا، قد
حدث من أجلنا. بواسطة قوة الله غير المدركة وقصده.. حاملاً على
منكبيه الخشبة التي كان على وشك أن يُصلب عليها، فقد مضى، وأدين
بالفعل وقاسى (تكبد) عقوبة الموت، على الرغم من أنه كان بريئاً. وقد
فعل هذا من أجلنا. أخذ على نفسه العقوبة التي حددها الناموس بعدل
للخطاة. فهو صار "لعنة لأجلنا" كما هو مكتوب، "مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِقَ
عَلَى خَشَبَةٍ" (غل ٣: ١٣). نحن كلنا ملعونون لأننا لم نستطع أن نتمم
الناموس الإلهي "لَأَنَّا فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ نَعْثُرُ جَمِيعُنَا" (يع ٢: ٣)،
والطبيعة البشرية تميل جداً للخطية. وبما أن الناموس قال في موضع

ما، "مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لَا يَثْبُتُ فِي جَمِيعِ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ
النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهِ" (غل ١٠: ٣، تث ٢٧: ٢٦) ..

المسيح، إذاً، لم يحمل الصليب الذي يستحقه هو، بل الصليب الذي
نستحقه نحن، والذي كان ينتظرنا حسب دينونة الناموس المُحددة. مثلما
مات ليس من أجل نفسه بل من أجلنا، لكي يصير من أجلنا رئيس
(أصل) الحياة الأبدية، ويحطم في ذاته قوة الموت؛ وكذلك أيضاً يأخذ
على نفسه الصليب الذي نستحقه نحن، ويدين في نفسه دينونة
الناموس، لكي يسد كل إثم فاه، كما يقول المرنم (مز ١٠٧: ٤٢)، حينما
يُدان الذي لم يعرف خطية من أجل خطية الكل^(٢٤).

٥- تحمل العقوبة الإلهية عوضاً عن البشر

هذا الدين الذي دفعه السيد المسيح، نيابة عنا، هو الموت الذي حكم
به الله على الإنسان كعقوبة^(٢٥) لخطيته "وَإِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فِي الْخَطَايَا
وَوُغِلَ جَسَدُكُمْ، أَحْيَاكُمْ مَعَهُ، مُسَامِحًا لَكُمْ بِجَمِيعِ الْخَطَايَا، إِذْ مَحَا
أَلْسَكَ الَّذِي عَلَيْنَا فِي الْفَرَائِضِ، الَّذِي كَانَ ضِدًّا لَنَا، وَقَدْ رَفَعَهُ مِنْ

^(٢٤) القديس كيرلس الكبير، شرح إنجيل يوحنا الإصحاح التاسع عشر

(يو ١٩: ١٦-١٨).

^(٢٥) بنعمة المسيح، جارٍ تجهيز كتاب خاص عن العقوبة الإلهية في فكر الآباء.

الْوَسْطِ مُسَمَّرًا إِيَّاهُ بِالصَّلِيبِ، إِذْ جَرَدَ الرِّيَّاسَاتِ وَالسَّلَاطِينَ أَشْهَرَهُمْ
جِهَارًا، ظَافِرًا بِهِمْ فِيهِ" (كو ١٣: ١٥).

"وإن كان الكلمة مخلوقًا فكيف يمكن أن يُبطل حكم الله ويصفح
عن الخطيئة؟.. فإن الله قال: (لأنك تراب وإلى تراب تعود)، والبشر
صاروا مائتين. إذن فكيف يكون في إمكان المخلوقين أن يبطلوا
الخطيئة؟ فإن الرب نفسه هو الذى أبطلها كما قال هو نفسه:
(إن لم يحرركم الابن)، وأوضح حقًا أن الابن الذى حرّر ليس
مخلوقًا وليس من بين المخلوقات، بل هو الكلمة الذاتى وصورة
وجوهر الآب، وهو الذى (أصدر الحكم) فى البداية، وهو الذى صَفَحَ
عن الخطايا. وإذ قبل بواسطة الكلمة (أنت من التراب وإلى التراب
تعود) هكذا أيضًا قد تحققت الحرية بالكلمة نفسه وفيه، وبه قد
صار إبطال الدينونة)^(٢٦).

ويقول القديس أثناسيوس الرسولى: "أن الرب يتألم بهذه الأشياء
ليس من أجل نفسه، بل من أجلنا نحن. ويقول مرة أخرى بشفتيه
في الزمور السابع والثمانون: "غضبك ضغط عليّ بشدة"، وفي الزمور
الثامن والستون، "حيثنذا رَدَدْتُ الَّذِي لَمْ أَحْطَفْهُ". لأنه على الرغم من
أنه هو نفسه لم يكن مضطراً (مُلَزَمًا) أن يُعطي حسابًا عن أي جريمة،

(٢٦) القديس أثناسيوس الرسولى، ضد الأريوسيين - المقالة الثانية (فصل ٢١ -
فقرة ٦٧).

فهو مات - بل تالم نيابة عنا، وأخذ على نفسه الغضب الموجه ضدنا بسبب التعدي، كما يقول في إشعياء: "هو أخذ ضعفنا"^(٢٧).

"إذا فقد كان الموت من أجلنا على الصليب لائقًا وملائمًا. وقد اتضح أن سببه كان معقولاً من جميع الوجوه، ومن الحق أن يقال إنه لم تكن هناك طريقة أخرى يتحقق بها خلاص الجميع سوى الصليب"^(٢٨).

ونفس التعليم يشرحه أبونا القديس كيرلس الكبير: "ولكن كلمة الله الأب، إذ هو غني في لطفه ومحبته للبشر صار جسداً أي إنساناً مثلنا، مشابهاً لنا نحن الذين تحت الخطية وقد إحتمل نصيبنا (معاناة الألم والموت)، كما يكتب بولس الرسول الفائق جداً "ذاق بنعمة الله الموت لأجل الجميع" (عب ٩: ٢)، وجعل حياته على سبيل المبادلة عن حياة الكل، فقد مات واحد عن الجميع لكي يعيش الجميع لله مقدسين ومحيين وحاصلين على الحياة بدمه"^(٢٩).

^(٢٧) رسالة القديس أثناسيوس الرسولي إلى مارسلينوس في شرح معنى المزامير، الفقرة السابعة.

^(٢٨) القديس أثناسيوس الرسولي، تجسد الكلمة (١/٢٦).

^(٢٩) رسالة ٤١، نسخة من الرسالة التي كتبها القديس كيرلس إلى أكايوس عن التيس المرسل (إلى البرية). فقرة رقم ١١ ترجمها عن اليونانية الدكتور موريس تاووضروس، الدكتور نصحي عبد الشهيد.

لقد استمدوا هذا التعليم النقي الطاهر من الكتاب المقدس، ومن الآباء السابقين عليهم. ففي سفر إشعياء نبوة واضحة جدًا عن آلام السيد المسيح الخلاصية:

✠ "لَكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنْ اللَّهِ وَمَذْلُولًا. وَهُوَ مَجْرُوحٌ لِأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لِأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلَامِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبْرِهِ شَفِينَا. كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مَلْنَا كُلٌّ وَاحِدٌ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا. ظَلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، وَكَنَعَجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَارِيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ" (إش ٥٣: ٤-٧).

✠ "مَنْ تَعَبَ نَفْسِهِ يَرَى وَيَشْبَعُ، وَعَبْدِي الْبَارُّ بِمَعْرِفَتِهِ يُبَرِّرُ كَثِيرِينَ، وَآثَامُهُمْ هُوَ يَحْمِلُهَا" (إش ٥٣: ١١).

كان الرب يسوع هو الذبيحة المقدسة التي بلا عيب التي قدمت عن حياة البشر.

✠ "الَّذِي لَيْسَ لَهُ اضْطِرَارٌّ كُلَّ يَوْمٍ مِثْلَ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ أَنْ يُقَدَّمَ ذَبَائِحَ أَوَّلًا عَنْ خَطَايَا نَفْسِهِ ثُمَّ عَنْ خَطَايَا الشَّعْبِ، لِأَنَّهُ فَعَلَ هَذَا مَرَّةً وَاحِدَةً، إِذْ قَدَّمَ نَفْسَهُ" (عب ٧: ٢٧).

✠ "فَبِهَذِهِ الْمَشِيئَةِ نَحْنُ مُقَدَّسُونَ بِتَقْدِيمِ جَسَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَرَّةً وَاحِدَةً" (عب ١٠: ١٠).

✠ "لَأَنَّ فَصَحْنَا أَيْضًا الْمَسِيحَ قَدْ ذُبِحَ لِأَجْلِنَا" (١كو ٥: ٧).

هو الذبيحة، وهو الكاهن الذي قدّم الذبيحة.

✠ "لأنّه يشهد أنّك: كاهنٌ إلى الأبدِ على رتبة ملكي صادق" (عب ٧: ١٧).

السيد المسيح هو الكاهن وهو الذبيحة: "هذا الذي أّصعد ذاته، ذبيحة مقبولة على الصليب، عن خلاص جنسنا. فاشتمّه أبوه الصالح، وقت المساء، على الجلجثة. فتح باب الفردوس، وردّ آدم إلى رئاسته مرة أخرى. من قبل صليبه، وقيامته المقدسة، ردّ الإنسان مرة أخرى إلى الفردوس" (٣٠).

✠ "فإذ لنا رئيسُ كهنةٍ عظيمٍ قد اجتازَ السّمّاءاتِ، يسوعُ ابنُ الله، فلنتمسكْ بالإقرارِ. لأنّ ليسَ لنا رئيسُ كهنةٍ غيرُ قادرٍ أن يرثيَ لضعفَاتنا، بل مجربٌ في كلّ شيءٍ مثُلنا، بلا خطيئة" (عب ٤: ١٤-١٥).

لذلك سُمي ربنا يسوع المسيح "الفادي":

✠ "لا تخفْ يا دودة يعقوب، يا شِرذمة إسرائيل. أنا أعينك، يقولُ الربُّ، وفاديك قدّوسُ إسرائيل" (إش ٤١: ١٤).

✠ "فيعلمُ كلّ بشرٍ أنّي أنا الربُّ مُخلّصُك، وفاديك عزيزُ يعقوب" (إش ٤٩: ٢٦).

(٣٠) لحن فاي ايتاف اينف.

والمسيح هو أيضاً الفدية التي قُدمت لله الآب عن خلاص البشر.

✠ "لأنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ أَيْضًا لَمْ يَأْتْ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيُخْدَمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ
فِدِيَّةً عَنْ كَثِيرِينَ" (مر ١٠: ٤٥).

✠ "الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ فِدِيَّةً لِأَجْلِ الْجَمِيعِ" (إتي ٦: ٢).

"وهو مثل خروف سَلَمَ جسده الخاص للموت كفدية^(٣١) من أجل
خلاص الجميع"^(٣٢).

✠ "عَالَمِينَ أَنْكُمْ افْتَدَيْتُمْ لَا بِأَشْيَاءٍ تَفْنَى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ،
مِنْ سِيرَتِكُمُ الْبَاطِلَةِ الَّتِي تَقَلَّدْتُمُوهَا مِنَ الْآبَاءِ، بَلْ بِدَمِ
كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلَا عَيْبٍ وَلَا دَنَسٍ، دَمِ الْمَسِيحِ"
(إبط ١: ١٨-١٩).

✠ "لَأَنَّكُمْ قَدْ اشْتَرَيْتُمْ بِثَمَنِ. فَمَجِّدُوا اللَّهَ فِي أَجْسَادِكُمْ وَفِي أَرْوَاحِكُمْ
الَّتِي هِيَ لِلَّهِ" (١كو ٦: ٢٠).

هذا الثمن هو الكفارة العظمى التي قدمها المسيح من أجلنا.

^(٣١) كلمة فدية في هذا النص في اللغة اليونانية القديمة أتت ἀντίψυχον

(antípsychon) وهي أصلها من ἀντίψυχος (antípsychos) وهي
تعني "نفس بديلة" أو "بديل" أي، إعطاء حياة شخص ما، بدلاً من حياة
شخص آخر كفدية).

^(٣٢) القديس أثاناسيوس الرسولي، تجسد الكلمة (٣٧ / ٧).

✠ "يَا أَوْلَادِي، أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هَذَا لِكَيْ لَا تَخْطِئُوا. وَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الْآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ. وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقْطُ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضًا" (أيو ٢: ١-٢).

✠ "مُتَبَرِّرينَ مَجَانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي قَدَّمَهُ اللَّهُ كَفَّارَةً بِالْإِيمَانِ بِدَمِهِ، لِإِظْهَارِ بِرِّهِ، مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْنَالِ اللَّهِ" (رو ٣: ٢٤-٢٥).

✠ "فِي هَذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللَّهَ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحْبَبَنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا" (أيو ٤: ١٠).

بهذه الكفارة العظيمة انتصر السيد المسيح على الشيطان والعالم والموت لحسابنا.

✠ "إِذْ جَرَّدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلَاطِينَ أَشْهَرَهُمْ جِهَارًا، ظَافِرًا بِهِمْ فِيهِ" (كو ٢: ١٥).

✠ "وَلَكِنْ ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ" (يو ١٦: ٣٣).

✠ "مِنْ يَدِ الْهَآوِيَةِ أَفْدِيهِمْ. مِنَ الْمَوْتِ أَخْلَصَهُمْ. أَيْنَ أَوْبَاؤُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا هَآوِيَةُ؟ تَخْتَفِي النَّدَامَةُ عَنْ عَيْنَيَّ" (هو ١٣: ١٤).

"هو دفع (أوفى) عقوبتنا من أجلنا. على الرغم من أن الذي تَأَلَّمَ كان واحد فقط، فهو كان فوق كل خليفة كإله وأثمن من حياة

الجميع. لهذا السبب، مثلما يقول المرتل: "وكل الآثام سدت فمها" (مز ١٠٧: ٤٢س)، ولسان الخطية أُسكِت، لأنه لم يعد لديه أي شيء ليقوله ضد الخطاة. هذا لأننا مُتَبَرِّرين؛ لأن المسيح دفع (أوفى) عقوبتنا. "بجلداته شَفِينًا" كما هو مكتوب (إش ٥٣: ٥). مثلما أنه بواسطة الشجرة، خطية سقوطنا وصلت إلى التمام، هكذا أيضًا بواسطة الشجرة (الصليب) قد تمت عودتنا إلى حالتنا الأصلية، بالإضافة إلى الإشتياق لقبول البركات السماوية^(٣٣).

٦- صار المسيح هو الوسيط لدى الآب وشفيع البشرية

بصفته ابن الآب، وفي نفس الوقت هو بكر البشر، يصير السيد المسيح، لنا وسيطًا مع الآب، ومصالحنا مع الآب، وشفيعًا كفاريًا، وسبب رضى وقبول الآب للبشر فيه، بعد أن كان البشر خاضعين للغضب الإلهي، المعلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم^(٣٤)، وهذه المصالحة مع الله صارت بسبب بر المسيح، وطاعته، وغلبته، وكل ما عمله بالجسد، إذ كان كل ذلك رصيْدًا لصالح البشر.

^(٣٣) القديس كيرلس الكبير، شرح إنجيل يوحنا، شرح (يو ١٩: ١٩).

^(٣٤) "لأنَّ غَضَبَ اللَّهِ مُعْلَنٌ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ فَجُورِ النَّاسِ وَإِثْمِهِمْ، الَّذِينَ يَخْجِزُونَ الْحَقَّ بِالْإِثْمِ" (رو ١: ١٨).

فبتجسد السيد المسيح، وموته النيابي عن البشر، صار هو نائباً للبشرية، وممثلها، أمام الآب، يشفع فينا بدمه الثمين^(٣٥)، شفاعة كفارية لا تنتهي (المسيح الشفيع الكفاري).

"وصرت لنا وسيطاً مع الآب، والحاجز المتوسط نقضته، والعداوة القديمة هدمتها، وصالحت الأرضيين مع السمائيين، وجعلت الإثنيين واحداً"^(٣٦).

✠ "فَمِنْ ثَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَ أَيْضًا إِلَى التَّامِّ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِهِ إِلَى اللَّهِ، إِذْ هُوَ حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ" (عب ٧: ٢٥).

✠ "وَالِى وَسِيطِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، يَسُوعَ، وَإِلَى دَمِ رَشِّ يَتَكَلَّمُ أَفْضَلَ مِنْ هَابِيلَ" (عب ١٢: ٢٤).

✠ "وَلَكِنَّهُ الْآنَ قَدْ حَصَلَ عَلَى خِدْمَةٍ أَفْضَلَ بِمِقْدَارِ مَا هُوَ وَسِيطٌ أَيْضًا لِعَهْدٍ أَعْظَمَ، قَدْ تَثَبَّتْ عَلَى مَوَاعِيدِ أَفْضَلَ" (عب ٨: ٦).

^(٣٥) "عَالَمِينَ أَنْكُمْ أَفْتَدَيْتُمْ لَا بِأَشْيَاءٍ تَفْنَى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ، مِنْ سِيرَتِكُمُ الْبَاطِلَةِ الَّتِي تَقْلَدْتُمُوهَا مِنَ الْآبَاءِ، بَلْ بِدَمِ كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلا عَيْبٍ وَلَا دَنَسٍ، دَمِ الْمَسِيحِ" (ابط ١: ١٨-١٩).

^(٣٦) القداس الغريغورى.

✠ "وَلَأَجْلِ هَذَا هُوَ وَسِيطُ عَهْدٍ جَدِيدٍ، لِكَيْ يَكُونَ الْمَدْعُوعُونَ -
إِذْ صَارَ مَوْتٌ لِفِدَاءِ التَّعَدِّيَاتِ الَّتِي فِي الْعَهْدِ الْأَوَّلِ - يَنَالُونَ
وَعَدَ الْمِيرَاثِ الْأَبَدِيِّ" (عب ٩: ١٥).

✠ "لَأَنَّهُ يُوجَدُ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ: الْإِنْسَانُ
يَسُوعُ الْمَسِيحُ" (١ تي ٢: ٥).

✠ "لَأَنَّ الْمَسِيحَ لَمْ يَدْخُلْ إِلَى أَقْدَاسٍ مَصْنُوعَةٍ بِيَدِ أَشْبَاهِ الْحَقِيقَةِ،
بَلْ إِلَى السَّمَاءِ عَيْنِهَا، لِيُظْهَرَ الْآنَ أَمَامَ وَجْهِ اللَّهِ لِأَجْلِنَا.
وَلَا لِيُقَدَّمَ نَفْسَهُ مَرَارًا كَثِيرَةً، كَمَا يَدْخُلُ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ إِلَى
الْأَقْدَاسِ كُلِّ سَنَةٍ بِدَمٍ آخَرَ" (عب ٩: ٢٤-٢٥).

"وحيث إنه هو كلمة الآب ويفوق الكل، كان هو وحده القادر أن
يعيد خلق كل شيء وأن يتألم عوض الجميع وأن يكون شفيعاً عن الكل
لدى الآب" (٣٧).

والمسيح بذلك صار مصالحنًا مع الآب :

✠ "وَأَنْ يُصَالِحَ بِهِ الْكُلُّ لِنَفْسِهِ، عَامِلًا الصُّلْحَ بِدَمِ صَلِيبِهِ،
بِوَاسِطَتِهِ، سَوَاءً كَانَ: مَا عَلَى الْأَرْضِ، أَمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ"
(كو ١: ٢٠).

(٣٧) القديس أثناسيوس الرسولي، تجسد الكلمة (٧ / ٥).

✠ "وَأَنْتُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلًا أَجْتَبِيَيْنَ وَأَعْدَاءَ فِي الْفِكْرِ، فِي الْأَعْمَالِ
الْشَّرِيرَةِ، قَدْ صَالَحَكُمْ الْآنَ فِي جِسْمِ بَشَرِيَّتِهِ بِالْمَوْتِ، لِيُخْضِرَكُمْ
قَدِيسِينَ وَبِلَا لَوْمٍ وَلَا شَكْوَى أَمَامَهُ" (كو ١: ٢١-٢٢).

"لأن الله غَضِبَ على الإنسان، ونحن قد تحولنا عن الله سيدنا
المُحِب، والمسيح (بواسطة) وضع ذاته بين الله والإنسان صالح كلاً
من الطبيعتين.

لكن بأي طريقة جعل المسيح نفسه وَسِيطًا؟ بأخذه على نفسه
العقوبة التي يجب على الآب أن يُعاقبنا بها؛ مُقَدِّمًا ذاته إلى كلِّ
من العقوبات المفروضة (قانونيًا) ضدنا والإهانات المفروضة
بواسطة طاعتنا أيضًا. هل تريد أن تتعلم كيف أحتمل هذين الأمرين؟
يقول الرسول: "الْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً
لأَجْلِنَا" (غل ٣: ١٣). لقد رأيت بأي طريقة أخذ على نفسه العقوبة
المفروضة (شرعيًا) من فوق. أنظر أيضًا كيف أحتمل الإهانات
المفروضة بواسطة البشر: "تَغْيِيرَاتِ مُعْيَرِكَ وَقَعْتَ عَلَيَّ" (مز ٦٩: ٩).
هل تُدرك بأي طريقة وضع نهاية للعداوة، وكيف جعل الذي كان
عدوًا صديقًا، ومُرضيًا لله؛ لكن ليس قبل أن يكون قد أوفى (دفع)
بالكامل كل ما كان دين مستحق، وتَمَّ كل ما كان يجب أن

يكون وتآلم؟ والدليل على كل هذه الأشياء الصالحة هو عيد هذا اليوم^(٣٨).

- "هذا الذي تجسد منك بغير تغيير. وصار وسيطاً لعهد جديد. من قبل رشاش دمه المقدس طهر المؤمنين شعباً مبرراً"^(٣٩).

- "لأنه حلّ الحاجز وقتل العداوة بالكمال"^(٤٠).

- "ثمرة بطنك، أتى وخلص المسكونة، ونقض العداوة عنا، وقرر لنا سلامه"^(٤١).

- "لأن من قبل ثمرتك، أدرك الخلاص جنسنا. وأصلحنا الله مرة أخرى من قبل صلاحه"^(٤٢).

٧- المسيح بكر البشر

المسيح هو رأس، وبكر، وجذر جديد للبشر، ونائب، وشفيع كفاري، وسابق لأجلنا.

^(٣٨) القديس يوحنا ذهبي الفم، عظة على عيد الصعود "صعود المسيح تمجيد الإنسان".

^(٣٩) تسبحة نصف الليل - القطعة الأولى من ثيوطوكية الأحد.

^(٤٠) تسبحة نصف الليل - القطعة الثامنة من ثيوطوكية الإثنين.

^(٤١) تسبحة نصف الليل - القطعة الخامسة من ثيوطوكية الجمعة.

^(٤٢) تسبحة نصف الليل - القطعة الثانية من ثيوطوكية السبت.

بصفته بكرنا، دخل كسابق من أجلنا إلى الأقداس العليا، مباركًا
بذلك طبيعتنا البشرية، وفتحًا لنا الباب، أن ندخل فيه ومعه
إلى الأقداس العليا، ونجلس معه وفيه في السماويات، وذلك في حياة
الدهر الآتي.

فبسبب اتحادنا به بالإيمان، والمعمودية، والإفخارستيا، يصير السيد
المسيح رأس الكنيسة، ونحن أعضاء هذا الجسد العظيم.

✠ "لَأَنَّ الرَّجُلَ هُوَ رَأْسُ الْمَرْأَةِ كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا رَأْسُ
الْكَنِيسَةِ، وَهُوَ مُخَلَّصُ الْجَسَدِ" (أف ٥: ٢٣).

✠ "وَهُوَ رَأْسُ الْجَسَدِ: الْكَنِيسَةِ. الَّذِي هُوَ أَلْبَدَاءَةُ، بِحَرِّ مِنْ
الْأَمْوَاتِ، لِكَيْ يَكُونَ هُوَ مُتَقَدِّمًا فِي كُلِّ شَيْءٍ" (كو ١: ١٨).
✠ "وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجَسَدُ الْمَسِيحِ، وَأَعْضَاؤُهُ أَفْرَادًا" (١كو ١٢: ٢٧).

وبذلك يكون الرب يسوع المسيح، بكرًا لنا نحن البشر بدلاً من
آدم بكرنا الأول، الذي أخطأ، ومات، وفسد، فأصاب جنسنا الإنساني
في آدم، الخطية، والموت، والفساد، فجاء اللوغوس كلمة الآب؛
ليكون لنا رأسًا، ورئيسًا، وبداية جديدة، وجزرًا، وبكرًا، ونائبًا،
وشفيعًا؛ فننال فيه وبه، البر عوض خطية آدم، والحياة عوض
موت آدم، وعدم الفساد في مقابل ميراثنا الفاسد من آدم. لذلك كان

من ضمن تدبير الخلاص، أن يحمل الرب يسوع المسيح، طبيعتنا البشرية في جسده الخاص، ويدخل بها إلى الأقداس العليا، كسابق، وباكورة؛ ليبارك طبيعتنا فيه (المسيح الباكورة^(٤٣))، بكر كل خليفة^(٤٤)).

لأنه كما أخذ على نفسه باكورة طبيعتنا البشرية، كذلك أيضاً أخذهم إلى الرب. ومثلما يحدث عندما تكون الحقول ممتلئة بالقمح، ويجمع إنسان قليلاً من السنابل ويجعلهم حزمة صغيرة، ويقدمها إلى الله وبواسطة تقديم هذه الكمية القليلة الحقل كله يكون مباركاً، هكذا فعل المسيح، الذي بواسطة جسده الواحد، وهذا الباكورة، قد نقله لكي الجنس البشري كله يكون مباركاً.

ولماذا لم يُقدّم طبيعتنا كلها؟ لأن السبب هو أن الذي يُقدّم الكل لا يُقدّم الباكورة. لكن إذا هو قدّم جزءاً صغيراً، فبواسطة هذا الجزء يجعل الكل مباركاً. ولكن، أحدهم سيقول، إذا تم تقديم باكورة إذا المرء المولود أولاً (بكر) يجب تقديمه؛ لأن الباكورة هم أولئك الذين يُولَدُونَ

^(٤٣) "وأيضاً متى أدخل البكر إلى العالم يقول: ولتسجد له كل ملائكة الله" (عب ١: ٦).

^(٤٤) "الذي هو صورة الله غير المنظور، بكر كل خليفة" (كو ١: ١٥).

أولاً، وَيَنْبُتُونَ أولاً. أيها الأخوة الأحباء، نحن لا نكون قد قدمنا باكورة، عندما تكون الباكورة التي قدمناها، فقيرة وضعيفة، بل عندما نكون قد قدمنا ما هو كامل وجدير (ثمين). لذلك بما أن الأول (آدم) كان خاضعاً لخطية، لم يتم تقدّمه، على الرغم من أنه (المسيح) أتى بعد الأول؛ لكن هذا الأخير كان خالياً من كل خطية، وعلى هذا الأساس هذا قدّم؛ لأنه على الرغم من أنه وُلِدَ فِيْمَا بَعْدُ، كان هو الباكورة (البكر) ^(٤٥).

لقد وعدنا بالحياة الأبدية وعدم الفساد، ونكون مثله، لأننا سنراه كما هو ^(٤٦)، ونلبس صورة السماوي، ونتغير إلى تلك الصورة عينها ^(٤٧)،
يا للمجد!!

^(٤٥) القديس يوحنا ذهبي الفم، عظة قالها عن عيد الصعود بعنوان "صعود المسيح تمجيد الإنسان..

Toal, M. F. (Ed.) (2000). The Sunday Sermons of the Great Fathers. (M. F. Toal, Trans.) (Vol. 2, pp. 432-440). San Francisco: Ignatius Press, V. ST JOHN CHRYSOSTOM, BISHOP AND DOCTOR, Christ's Ascension Man's Exaltation.

^(٤٦) "أَيُّهَا الْأَحِبَّاءُ، الْآنَ نَحْنُ أَوْلَادُ اللَّهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلَكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أَظْهَرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لِأَنَّا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ" (يو ٢:٣).

لقد دخل السيد المسيح كسابق عنا إلى الأقداس العليا من أجلنا ووعدنا بالجلوس معه في عرشه، كل من يغلب^(٤٨)، ونرث فيه وبه كل شيء^(٤٩) (المسيح الجليس مع الأب).

يا يسوع المسيح، ذا الاسم المخلص.. رئيس كهنة الخيرات العتيدة، الذي صعد إلى السموات، وصار فوق السموات، ودخل داخل الحجاب، موضع قدس الأقداس، الموضع الذي لا يدخل إليه ذو طبيعة بشرية. وصار سابقاً عنا، صائراً رئيس كهنة إلى الأبد، على رتبة ملكيصادق^(٥٠).

وطبعاً جلوسنا مع المسيح في عرشه يعني نعمة عظيمة، وعطية لا يُعبر عنها، لكنه لا يعني بأي حال مساواتنا للمسيح في مجده اللاهوتي، وعظمته الإلهية.

(٤٧) "وَنَحْنُ جَمِيعًا نَظَرِينَا مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهِهِ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرَآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنَهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنْ الرَّبِّ أَلَرُوحِ" (٢كو ٣: ١٨).

(٤٨) "مَنْ يَغْلِبُ فَسَأُعْطِيهِ أَنْ يَجْلِسَ مَعِيَ فِي عَرْشِي، كَمَا غَلَبْتُ أَنَا أَيْضًا وَجَلَسْتُ مَعَ أَبِي فِي عَرْشِهِ" (رؤ ٣: ٢١).

(٤٩) "مَنْ يَغْلِبُ يَرِثُ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَكُونُ لَهُ إِلَهًا وَهُوَ يَكُونُ لِي أَبْنًا" (رؤ ٢١: ٧).

(٥٠) قسمة السبب الكبير.

يقول القديس كيرلس الكبير: "كرامة جلوسه تخص المسيح بالطبيعة بصفته الابن، ونحن يمكننا بصواب وبحق أن ننسب مجد الجلوس هناك له، وله وحده. ولكن حقيقة أن المسيح الذي يجلس هناك هو يُشبهنا تمامًا، أي أنه ظهر كإنسان، بينما في الوقت ذاته نحن نفهم أنه إله من إله - تلك الحقيقة تنقل، نعمة تلك الكرامة أيضًا إلينا".

حتى لو لم نجلس بجانب الآب (لأنه كيف يمكن للعبد أن يصعد إلى نفس كرامة السيد؟)، إلا أنه وعد التلاميذ المقدسين أنهم سيجلسون على عروش. فهو يقول: "مَتَّى جَلَسَ ابْنُ الْإِنْسَانِ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ، تَجْلِسُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ كُرْسِيًا تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الْاثْنَيْ عَشَرَ" (مت ١٩: ٢٨) (٥١).

✠ "الَّذِي هُوَ لَنَا كَمِرْسَاةٍ لِلنَّفْسِ مُؤْتَمَنَةٌ وَثَابِتَةٌ، تَدْخُلُ إِلَى مَا دَاخِلَ الْحِجَابِ، حَيْثُ دَخَلَ يَسُوعُ كَسَابِقٍ لِأَجْلِنَا، صَائِرًا عَلَى رُتْبَةِ مُلْكِي صَادِقٍ، رَئِيسَ كَهَنَةٍ إِلَى الْأَبَدِ" (عب ١٩: ٢٠).

✠ "فَإِذْ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ عَظِيمٍ قَدْ أَجْتَازَ السَّمَاوَاتِ، يَسُوعُ ابْنُ اللَّهِ، فَلَنَتَمَسَّكَ بِالْإِقْرَارِ" (عب ٤: ١٤).

(٥١) القديس كيرلس الكبير، شرح إنجيل القديس يوحنا (يو ١٤: ٢-٣).

٨- استعادة الصورة الإلهية في الإنسان

إذ أن الرب يسوع المسيح، هو صورة الله^(٥٢)، والإنسان مخلوق على صورة الله، وقد تشوهت هذه الصورة بسبب خطية آدم، فكان جديرًا به وحده، أن يأتي إلينا؛ ليعيد لنا الصورة الإلهية، باتحادنا به، وبفعل الروح القدس في حياتنا، إلى أن نكون مثله في الأبدية السعيدة؛ لأننا سنراه كما هو، في مجيئه الثاني.

فبسبب أن الصورة الإلهية، في الإنسان قد تشوهت، نتيجة عصيان، وخطية آدم.

يقول القديس أثناسيوس الرسولي: "وما هي الفائدة من خلق الإنسان أصلاً على صورة الله؟ كان من الأفضل له لو أنه خلق مثل مخلوق غير عاقل من أن يُخلق عاقلاً ثم يعيش كالحيوانات غير العاقلة"^(٥٣).

(٥٢) "الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللَّهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، بِكَرُّ كُلِّ خَلِيقَةٍ" (كو ١: ١٥).
"الَّذِينَ فِيهِمْ إِلَهُ هَذَا الدَّهْرِ قَدْ أَعْمَى أَذْهَانَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لِئَلَّا تُضِيءَ لَهُمْ إِنَارَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللَّهِ" (٢ كو ٤: ٤).
"الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللَّهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلًا لِلَّهِ. لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذَا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ" (في ٢: ٦-٧).
(٥٣) القديس أثناسيوس الرسولي، تجسد الكلمة (١٣ / ٢).

لذلك، أعاد لنا السيد المسيح إلها الصورة الإلهية في الإنسان، التي تشوهت في آدم؛ بسبب العصيان.

"لم يكن ممكناً أن يحول الفاسد إلى عدم الفساد إلا المخلص نفسه، الذي خلق منذ البدء كل شيء من عدم. ولم يكن ممكناً أن يعيد خلق البشر ليكونوا على صورة الله إلا الذي هو صورة الآب. ولم يكن ممكناً أن يجعل الإنسان المائت غير مائت إلا ربنا يسوع المسيح الذي هو الحياة ذاتها"^(٥٤).

"ولهذا أتى كلمة الله بذاته لكي يستطيع - وهو صورة الآب - أن يجدد خلقه الإنسان، على مثال الصورة"^(٥٥).

"إِذْ خَلَعْتُمْ الْإِنْسَانَ الْعَتِيقَ مَعَ أَعْمَالِهِ، وَلَبِسْتُمْ الْجَدِيدَ الَّذِي يَتَجَدَّدُ لِلْمَعْرِفَةِ حَسَبَ صُورَةِ خَالِقِهِ" (كو ٣: ٩-١٠)، وهذا يتم في المعمودية المقدسة. ونستمر في التحول إلى صورة الله مرة أخرى، من خلال الجهاد الروحي.

✠ "أَنْ تَخْلَعُوا مِنْ جِهَةِ التَّصَرُّفِ السَّابِقِ الْإِنْسَانَ الْعَتِيقَ الْفَاسِدَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ الْغُرُورِ، وَتَتَجَدَّدُوا بِرُوحِ ذِهْنِكُمْ، وَتَلْبَسُوا الْإِنْسَانَ الْجَدِيدَ الْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ اللَّهِ فِي الْبِرِّ وَقِدَاسَةِ الْحَقِّ" (أف ٤: ٢٢-٢٤).

(٥٤) القديس أثناسيوس الرسولي، تجسد الكلمة (٢٠ / ١).

(٥٥) القديس أثناسيوس الرسولي، تجسد الكلمة (١٣ / ٧).

✠ "إِذَا إِنَّ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: الْأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ
قَدْ مَضَتْ، هَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا" (٢كو ٥: ١٧).

✠ "لَأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيْنُهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ
ابْنِهِ، لِيَكُونَ هُوَ بَكْرًا بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ" (رو ٨: ٢٩).

والروح القدس يقوم بالدور الأعظم، في نقش صورة المسيح فينا،
"وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاطِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهِهِ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ
إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنْ الرَّبِّ أَلْرُوحِ"
(٢كو ٣: ١٨).

وتكتمل الملامح بالحقيقة في قيامة الأموات، وحياة الدهر الآتي.

✠ "انْظُرُوا آيَةً مَحَبَّةٍ أَعْطَانَا الْآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلَادَ اللَّهِ!.. أَيُّهَا
الْأَحِبَّاءُ، الْآنَ نَحْنُ أَوْلَادُ اللَّهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلَكِنْ
نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهَرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لِأَنَّا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ" (١يو ٣: ٢-٣).

✠ "لَأَنَّكُمْ قَدْ مِتُّمْ وَحَيَاتُكُمْ مُسْتَتْرَةٌ مَعَ الْمَسِيحِ فِي اللَّهِ. مَتَى أُظْهَرَ
الْمَسِيحُ حَيَاتُنَا، فَحِينَئِذٍ تُظْهَرُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا مَعَهُ فِي الْمَجْدِ"
(كو ٣: ٣-٤).

✠ "فَإِنَّ سِيرَتَنَا نَحْنُ هِيَ فِي السَّمَاوَاتِ، الَّتِي مِنْهَا أَيْضًا نَنْتَظِرُ
مُخْلَصًا هُوَ الرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي سَيُغَيِّرُ شَكْلَ جَسَدِ
تَوَاضُعِنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ" (في ٣: ٢٠-٢١).

✠ "وكما لبسنا صورة الترابي، سنلبس أيضا صورة السماوي".
فأقول هذا أيها الإخوة: إنَّ لحمًا ودمًا لا يقدران أن يرثا ملكوت
الله، ولا يرث الفساد عدم الفساد" (١كو ١٥: ٤٩-٥٠).

✠ "في لحظة في طرفة عين، عند البوق الأخير. فإنه سيُبوق،
فيقام الأموات عديمي فساد، ونحن نتغيّر. لأنَّ هذا الفاسد
لا بد أن يلبس عدم فساد، وهذا المائت يلبس عدم موت"
(١كو ١٥: ٥٢-٥٣).

لذلك يقول السيد المسيح: "وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الْأَرْضِ أَجْذِبُ
إِلَيَّ الْجَمِيعَ. قَالَ هَذَا مُشِيرًا إِلَى آيَةٍ مِيْتَةٍ كَانَ مُزْمَعًا أَنْ يَمُوتَ"
(يو ١٢: ٣٢-٣٣)، يجذبنا إلى التشبه به، والتمثل بشخصه القدوس.

٩- استعادة التبني لله الآب

إذ هو ابن الآب بالطبيعة، وبالحقيقة، ونحن فقدنا البنوة للآب، بسبب
خطية آدم، تنازل وصار ابن بشر؛ ليجعل أبناء البشر، أبناء الله بنعمة
التبني خلال الاتحاد به.

✠ "لَأَنَّكُمْ جَمِيعًا أَبْنَاءُ اللَّهِ بِالإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ" (غل ٣: ٢٦).
✠ "وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللَّهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنْ أَمْرَأَةٍ،
مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيُفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالِ

التَّبَنِّي. ثُمَّ بِمَا أَنْكُمْ أَبْنَاءُ، أَرْسَلَ اللَّهُ رُوحَ ابْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِخًا: يَا أَبَا الْآبِ. إِذَا لَسْتَ بَعْدُ عَبْدًا بَلِ ابْنًا، وَإِنْ كُنْتَ ابْنًا فَوَارِثٌ لِلَّهِ بِالْمَسِيحِ" (غل ٤: ٤-٧).

✠ "لَأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَنْقَادُونَ بِرُوحِ اللَّهِ، فَأُولَئِكَ هُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ. إِذْ لَمْ تَأْخُذُوا رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ أَيْضًا لِلْخَوْفِ، بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَنِّي الَّذِي بِهِ نَصْرُخُ: يَا أَبَا الْآبِ. الرُّوحُ نَفْسُهُ أَيْضًا يَشْهَدُ لَأَرْوَاحِنَا أَنَّنَا أَوْلَادُ اللَّهِ. فَإِنْ كُنَّا أَوْلَادًا فَإِنَّا وَرَثَةُ أَيْضًا، وَرَثَةُ اللَّهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ" (رو ٨: ١٤-١٧).

✠ "وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلَادَ اللَّهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ. الَّذِينَ وَلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ، وَلَا مِنْ مَشِيئَةٍ جَسَدٍ، وَلَا مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ، بَلْ مِنْ اللَّهِ" (يو ١: ١٢-١٣).

يقول القديس كيرلس الكبير: "ابن الله صار إنسانًا لكي يصير الناس فيه وبواسطته أبناء الله بالتبني"^(٥٦).

"ونحن من الآن فصاعدًا جُعلنا أبناء فيه؟"^(٥٧).

^(٥٦) القديس كيرلس الكبير (تفسير يوحنا ١: ١٢).

^(٥٧) القديس أثناسيوس الرسولي، ضد الأريوسيين المقالة الثانية الفقرة (٧٦).

"إِذْ سَبَقَ فَعَيَّنَا لِلتَّابِتِ بِيسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ، حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ،
لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا فِي الْمَحْبُوبِ" (أف ١: ٦-٥).

"يقول المسيح في بعض المواضع إن أباه يُدعى أبًا لنا أيضًا، وذلك
بسبب اشتراكه هو في جسدنا. فإنه لهذه الغاية قد صار الكلمة جسدًا.
حتى أنه لكون الكلمة هو الابن، فبحلول الابن فينا، يُدعى أبوه أبًا لنا
أيضًا. ولذلك يقول الكتاب: "أَرْسَلَ اللَّهُ رُوحَ ابْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِخًا:
يَا أَبَا الْآبِ" (غل ٤: ٦). إذن حينما يكون الابن فينا مُناديًا أباه الخاص
من داخلنا، فإنه يجعله يُدعى أبًا لنا نحن أيضًا" (٥٨).

"لا يمكن أن يكون تَبَنٍّ (نعمة التبني) بمعزل عن الابن الحقيقي،
الذي يقول: "لَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ مَنْ هُوَ الْابْنُ إِلَّا الْآبُ، وَلَا مَنْ هُوَ الْآبُ
إِلَّا الْابْنُ، وَمَنْ أَرَادَ الْابْنَ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ" (لو ١٠: ٢٢) بل وكيف يمكن أن
يكون تَأْلَةً بمعزل عن اللوغوس؟..

فإن كان كل الذين دُعُوا أَبْنَاءَ وَآلِهَةٍ، سواء كان على الأرض أم في
السماء، نالوا البنوة وتألَّهوا بواسطة اللوغوس، وإن كان الابن نفسه هو
اللوغوس فمن الواضح أن الجميع نالوا ذلك بواسطة.. ومن ذلك
يظهر إننا لسنا نحن أبناء بحسب الطبيعة، ولكن الابن الذي فينا (فهو

(٥٨) القديس أثناسيوس الرسولي - المقالة الرابعة ضد الأريوسيين (٢٢).

ابن بحسب الطبيعة)، وكذلك الله ليس أبًا لنا بحسب الطبيعة، ولكنه أب للكلمة الذي فينا، الذي فيه وبه نصرخ "يا أبا الآب" وهكذا الذين يرى الآب فيهم ابنه الخاص، فأولئك يدعوهم أبناء له" (٥٩).

لذلك ميّز السيد المسيح بين بنوته الفريدة للآب وبنوتنا نحن له حينما قال: "إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ" (يو ١٧: ٢٠)، لم يقل إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِيْنَا.

ونصلي في القداس الغريغوري في صلاة خضوع للآب بعد القسمة "يا الله الذي أحبنا هكذا، وأنعم علينا برتبة البنوة؛ لكي ندعى أبناء الله، وهكذا فإننا حقًا وارثون لك يا الله الآب، وشركاء ميراث مسيحك، أمل أذنك يارب، واسمعنا، نحن الخاضعين لك، وطهر إنساننا الداخلي، كطهر ابنك الوحيد، هذا الذي ننوي أن نتناوله" (٦٠).

"إذ نصير شركاء في الجسد، وشركاء في الشكل، وشركاء في خلافة مسيحك" (٦١).

ما أعمق هذه الصلوات المجيدة!

(٥٩) القديس أثناسيوس الرسولي - المقالة الأولى ضد الآريوسيين (٣٩).

(٦٠) القداس الغريغوري صلاة خضوع للآب من بعد أبانا.

(٦١) القداس الغريغوري صلاة خضوع للآب من بعد أبانا.

١٠- أعطانا أن نكون شركاء الطبيعة الإلهية

بسبب نعمة التبني لله الآب، التي ننالها بالاتحاد بالابن الوحيد الحقيقي، بالإيمان، والمعمودية، نصير بهذا شركاء الطبيعة الإلهية فيه، ونصير إلهيين بسبب تنازله.

فهو الله بالطبيعة، وصار إنساناً بالحقيقة؛ لكي يؤلّهنّا فيه، أي نصير إلهيين بالنعمة، وشركاء ميراثه الأبدي، وارثين الحياة الأبدية، وعدم الفساد.

✠ "كَمَا أَنَّ قُدْرَتَهُ إِلَهِيَّةً قَدْ وَهَبَتْ لَنَا كُلَّ مَا هُوَ لِلْحَيَاةِ وَالتَّقْوَى، بِمَعْرِفَةِ الَّذِي دَعَانَا بِالْمَجْدِ وَالْفَضِيلَةِ، الَّذِينَ بِهِمَا قَدْ وَهَبَ لَنَا الْمَوَاعِيدَ الْعُظْمَى وَالثَّمِينَةَ، لِكَيْ تَصِيرُوا بِهَا شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ إِلَهِيَّةٍ، هَارِبِينَ مِنَ الْفَسَادِ الَّذِي فِي الْعَالَمِ بِالشَّهْوَةِ" (٢بط ١: ٣-٤).

لأن كلمة الله صار إنساناً لكي:

يؤلّهنّا^(٦٢) نحن (نصير إلهيين)، وأظهر نفسه في جسد لكي نحصل على معرفة الآب غير المنظور، واحتمل إهانة البشر لكي نرث نحن عدم الموت. لأنه بينما لم يمسه هو نفسه أي

(٦٢) مفهوم تأليه الإنسان بحسب الآباء، يحتاج أن أفرد له كتاباً خاصاً.

أذى، لأنه غير قابل للألم أو الفساد، إذ هو الكلمة ذاته وهو الله، فإنه بعدم قابليته للتألم حفظ وخلص البشر الذين يتألمون والذين لأجلهم احتمل كل هذا"^(٦٣).

ويُفهم من هذا النص أن القديس أثناسيوس الرسولي قد شرح جزءاً من تدبير الخلاص على أنه:

١- يؤلهنا. ٢- يعرّفنا بالآب. ٣- نرث فيه عدم الموت.

ومفهوم التأليه الذي نناله، هو في أبسط شرح له (الاتحاد بالمسيح) فقد خلصنا، باتحادنا فيه بالمعمودية، والإفخارستيا؛ كي نكون أعضاءه، وفيه نصير أبناء الآب، ومسكن الروح القدس. ووارثين ملكوت السموات، وصار المسيح رأس الجسد. ونحن أعضاء هذا الجسد، إنه اتحاد كياني، يؤول إلى خلاصنا.

✠ "وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجَسَدُ الْمَسِيحِ، وَأَعْضَاؤُهُ أَفْرَادًا" (١كو ١٢: ٢٧).

✠ "بَلْ صَادِقِينَ فِي الْمَحَبَّةِ، نَنُمُو فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَى ذَاكَ الَّذِي هُوَ الرَّأْسُ: الْمَسِيحُ، الَّذِي مِنْهُ كُلُّ الْجَسَدِ مُرَكَّبًا مَعًا، وَمُقْتَرَنًا بِمُؤَازَرَةٍ كُلِّ مَفْصِلٍ، حَسَبَ عَمَلٍ، عَلَى قِيَاسِ كُلِّ جُزْءٍ، يُحَصِّلُ نُمُوَ الْجَسَدِ لِبُنْيَانِهِ فِي الْمَحَبَّةِ" (أف ٤: ١٥-١٦).

(٦٣) القديس أثناسيوس الرسولي، تجسد الكلمة (٥٤ / ٣).

ان جوهر الخلاص هو الاتحاد بالسيد المسيح. فبفضل الاتحاد بين اللاهوت والانسوت اتحاداً أقنومياً كاملاً، صار الواحد من الثالوث - من جهة ألوهيته - واحداً منا - من جهة انسانيته - ولأنه يحمل طبيعتنا البشرية في كيانه - من بعد الاتحاد - صار موته، ونصرته، محسوبة لصالح البشرية. وأعطانا السلطان - بالإيمان به - أن نتحد بجسده، ونصير أعضائه.

وكما أنه من خلال انتسابنا لآدم الأول، ورثنا الخطية، والموت، والفساد، هكذا بانتسابنا لآدم الجديد، واتحادنا به بالإيمان، والمعمودية، والإفخارستيا، نصير به وفيه، منتصرين على الموت، ونرث فيه وبه الحياة.

✠ "لأنه إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد، فبالأولى كثيراً الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر، سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح! فإذا كما بخطية واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة، هكذا ببر واحد صارت الهبة إلى جميع الناس، لتبرير الحياة. لأنه كما بمغصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة، هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيُجعل الكثيرون أبراراً" (رو ٥: ١٧-١٩).

✠ "فَإِنَّهُ إِذِ الْمَوْتُ بِإِنْسَانٍ، بِإِنْسَانٍ أَيْضًا قِيَامَةُ الْأَمْوَاتِ. لِأَنَّهُ
كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ، هَكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ"
(١كو ١٥: ٢١-٢٢).

✠ "وَكَمَا لَبِسْنَا صُورَةَ التُّرَابِيِّ، سَتَلْبَسُ أَيْضًا صُورَةُ السَّمَاوِيِّ"
(١كو ١٥: ٤٩).

يقول القديس أثناسيوس الرسولي: "ولأن كلمة الله هو فوق
الجميع فقد كان لاثنًا أن يقدم هيكله الخاص وأداته البشرية فدية
عن حياة الجميع موفيًا دين الجميع بموته. وهكذا باتخاذ جسدًا
مماثلاً لجسد جميع البشر وباتحاده بهم، فإن ابن الله عديم الفساد
البس الجميع عدم الفساد، بوعده القيامة من الأموات. ولم يعد
الفساد الفعلي بالموت له أي سلطان على البشر بسبب الكلمة الذي
جاء وسكن بينهم بواسطة جسده" (٦٤).

وتعتبر الليتورجية القبطية الأرثوذكسية في صلواتها، عن هذه النعمة
العظيمة، بتعبير "الوحدة" بكل بساطة، وهو المعنى الحقيقي الذي
يقصده الآباء من تعبیر "التأليه" θεοποιεσς.

(٦٤) القديس أثناسيوس الرسولي (تجسد الكلمة ٩ / ٢).

- "لأن الذي على الشاروبيم، أتى وتجسد منك، حتى وحدنا به، من قبل صلاحه" (٦٥).

- "هو أخذ جسدنا، وأعطانا روحه القدوس، وجعلنا واحدًا معه، من قبل صلاحه" (٦٦).

- "هو أخذ الذي لنا، وأعطانا الذي له" (٦٧).

✠ "فَإِنَّكُمْ تَعْرِفُونَ نِعْمَةَ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنَّهُ مِنْ أَجْلِكُمْ أَفْتَقَرَ وَهُوَ غَنِيٌّ، لِكَيْ تَسْتَغْنُوا أَنْتُمْ بِفَقْرِهِ" (٢كو ٨: ٩).

١١- علمنا عن الآب فهو المسيح المعلم

لقد تجسد ابن الله غير المرئي، وغير المحسوس؛ لنراه في الجسد، فنرى فيه الآب، ونتعرف على الآب والروح القدس، بعد أن تاه البشر عن خالقهم وعبدوا الأوثان، بسبب ارتباطهم بالحسيات.

"فطالما أن فكر البشر قد انحط كلية إلى الأمور الحسية، فالكلمة أيضًا تنازل وأخفى نفسه بظهوره في جسد، لكي يجذب البشر إلى نفسه كإنسان، ويوجه إحساساتهم نحوه، ومن ثم إذ يتطلع إليه البشر كإنسان

(٦٥) ثيوطوكية الجمعة - القطعة الثانية.

(٦٦) ثيوطوكية الجمعة - القطعة الثالثة.

(٦٧) مرد ثيوطوكية يوم الجمعة.

فإنهم بالأعمال التي يعملها، يقتنعون إنه ليس مجرد إنسان بل هو إله أيضاً، وكلمة الإله الحقيقي وحكمته^(٦٨).

إن معرفة الآب هي معرفة خلاصية، لقد خلصنا السيد المسيح، بأن عرفنا بالآب، إذ أظهر لنا نور الآب، وأنعم علينا بمعرفة الروح القدس الحقيقية (المسيح المعلم).

كان التعليم الأساسي، الذي جاء المسيح من أجله، أن نعرفنا عن الآب.

✠ "وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ إِلَهَ الْحَقِيقِيِّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ" (يو ١٧: ٣).

✠ "أَنَا أَظْهَرْتُ أَسْمَكَ لِلنَّاسِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي مِنَ الْعَالَمِ. كَانُوا لَكَ وَأَعْطَيْتَهُمْ لِي، وَقَدْ حَفِظُوا كَلَامَكَ" (يو ١٧: ٦).

✠ "وَعَرَفْتَهُمْ أَسْمَكَ وَسَاعَرَفْتَهُمْ، لِيَكُونَ فِيهِمْ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ، وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ" (يو ١٧: ٢٦).

إنها معرفة خلاصية بالحق.

✠ "إِذْ خَلَعْتُمُ الْإِنْسَانَ الْعَتِيقَ مَعَ أَعْمَالِهِ، وَلَبِسْتُمُ الْجَدِيدَ الَّذِي يَتَجَدَّدُ لِلْمَعْرِفَةِ حَسَبَ صُورَةِ خَالِقِهِ" (كو ٣: ٩-١٠).

(٦٨) القديس أثناسيوس الرسولي، تجسد الكلمة (١٦ / ١).

يقول القديس أنثاسيوس الرسولي: "وأظهر نفسه في جسد لكى
نحصل على معرفة الآب غير المنظور"^(٦٩).

لذلك نصلي في القديس الغريغوري شاكرين الابن الوحيد "الذي
أظهر لنا نور الآب، الذي أنعم علينا بمعرفة الروح القدس
الحقيقية"^(٧٠).

أنها حقاً معرفة خلاصية لأنه "قَدْ هَلَكَ شَعْبِي مِنْ عَدَمِ الْمَعْرِفَةِ"
(هو ٤: ٦).

يقول القديس أنثاسيوس الرسولي: "قد امتلأت الأرض كلها من
معرفة الله، والأمم تركوا ضلال عبادتهم الوثنية ولجأوا إلى إله
إبراهيم بواسطة الكلمة، ربنا يسوع المسيح، فواضح إذن - حتي
لأشد الناس عناداً - أن المسيح قد جاء وأنه قد أنار الجميع بنوره،
وأعطاهم التعليم الصحيح الإلهي عن أبيه"^(٧١).

"فإن الأرواح الشريرة قد أضلت البشر في القديم منتحلة
لنفسها كرامة الله. ولكن عندما ظهر كلمة الله في الجسد، وعرفنا
بأبيه، فحينئذ بطلت وتبددت خداعات الأرواح الشريرة. وإذا

^(٦٩) القديس أنثاسيوس الرسولي، تجسد الكلمة (٥٤ / ٣).

^(٧٠) القديس الغريغوري.

^(٧١) القديس أنثاسيوس الرسولي، تجسد الكلمة (٤٠ / ٧).

بدأ البشر يحولون أنظارهم إلى الإله الحقيقي، كلمة الآب،
فإنهم أصبحوا يهجرون الأصنام، وصاروا الآن يعرفون
الإله الحقيقي^(٧٢).

✠ "وَنَعْلَمُ أَنَّ ابْنَ اللَّهِ قَدْ جَاءَ وَأَعْطَانَا بَصِيرَةً لِنَعْرِفَ (الإله)^(٧٣)
الْحَقَّ. وَنَحْنُ فِي الْحَقِّ فِي ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. هَذَا هُوَ الْإِلَهُ
الْحَقُّ وَالْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ. أَيُّهَا الْأَوْلَادُ، أَحْفَظُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ الْأَصْنَامِ.
آمِينَ" (أيو ٥: ٢٠-٢١).

ولم يكن تعليم الرب يسوع المسيح، تعليمًا لاهوتيًا، نظريًا، بل كان
أيضًا معلمًا يعلمنا بطريقة معاشة، طريق التقوى، فنراه أمامنا نموذجًا
مثاليًا نتبع خطواته.

✠ "أَنْتُمْ تَدْعُونَنِي مُعَلِّمًا وَسَيِّدًا، وَحَسَنًا تَقُولُونَ، لِأَنِّي أَنَا كَذَلِكَ.
فَإِنْ كُنْتُ وَأَنَا أَلْسَيِّدُ وَالْمُعَلِّمُ قَدْ غَسَلْتُ أَرْجُلَكُمْ، فَأَنْتُمْ يَجِبُ
عَلَيْكُمْ أَنْ يَغْسِلَ بَعْضُكُمْ أَرْجُلَ بَعْضٍ" (يو ١٣: ١٢-١٤).
✠ "إِحْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لِأَنِّي وَدِيعٌ وَمَتَوَاضِعُ الْقَلْبِ،
فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنَفُوسِكُمْ" (مت ١١: ٢٩).

^(٧٢) القديس أثناسيوس الرسولي، تجسد الكلمة (٥٥ / ٥).

^(٧٣) كذا في الترجمة القبطية بالقبطامروس.

١٢- إعلان محبة الله للبشر

✠ "لأنَّه هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ" (يو ٣: ١٦).

✠ "لَيْسَ لِأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا: أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لِأَجْلِ أَحِبَّائِهِ" (يو ١٥: ١٣).

✠ "وَلَكِنَّ اللَّهَ بَيَّنَّ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لِأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا" (رو ٨: ٥).

✠ "بِهَذَا أَظْهَرَتْ مَحَبَّةُ اللَّهِ فِينَا: أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَرْسَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ إِلَى الْعَالَمِ لِكَيْ نَحْيَا بِهِ. فِي هَذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحِبِّينَا اللَّهَ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا" (١ يو ٤: ٩-١٠).

الخلاصة :

فأعمال المسيح الخلاصية هي أعمال كثيرة، ومجيدة، ولا يمكن أن تُستقصى.

يقول القديس اثناسيوس الرسولي: "لم يكن ممكناً أن يحول الفاسد إلى عدم الفساد إلا المخلص نفسه، الذي خلق منذ البدء كل شيء من عدم. ولم يكن ممكناً أن يعيد خلق البشر ليكونوا على صورة الله إلا الذي هو صورة الأب. ولم

يكن ممكناً أن يجعل الإنسان المائت غير مائت إلا ربنا يسوع المسيح الذى هو الحياة ذاتها ولم يكن ممكناً أن يُعلم البشر عن الآب ويقضى على عبادة الأوثان إلا الكلمة الذى يضبط كل الأشياء، وهو وحده الابن الوحيد الحقيقي^(٧٤).

لاحظ أن القديس أثناسيوس في شرحه لسر التجسد والفداء لم يكتفِ باتجاه واحد في إدراك ما عمله الله معنا وفينا. فإنه:

- ١- يعطى عدم الفساد.
- ٢- يعيد خلق البشر.
- ٣- يعيد لنا صورة الله.
- ٤- يعطينا الحياة.
- ٥- يعلمنا عن الآب ويُنهي على عبادة الأوثان.

فذبيحة المسيح متعددة المفاعيل والوجوه :

إنها حقاً طرق الخلاص، كما عبّر القديس القبطي الباسيلي.
لماذا إذاً، نحصر الصليب في معنى واحد بدلاً من أن نفرح بعمل الله من أجلنا، ومحبتة الفياضة التي لا يُعبّر عنها؟



^(٧٤) القديس أثناسيوس الرسولي، تجسد الكلمة (٢٠ / ١).

رفض الهرطقات والمبالغ المتطرفة

قبولنا لكل الآراء، المتكاملة، والصحيحة، لا يمنع أن نستبعد طبعًا، ما رفضته الكنيسة منذ البداية من آراء هرطوقية، لا تليق بشخص وعمل ربنا يسوع المسيح.. أو الآراء المبالغ فيها:

١- مثل تلك التي صوّرت الآب بالإله الغاضب القاسي الذي يحتاج إلى تهدئة، ويقف مشاهدًا، متلذذًا بعقاب ابنه، وأن الابن جاء متجسدًا، لكي يرضيه.

وكان قضية التجسد والخلاص هي لحل مشكلة لدى الله ذاته، بينما نعلن في قانون الإيمان: "هذا الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء، وتأنس..".

فهذا الشرح المنحرف يفصل بين الآب والابن، ويصوّر الآب بالإله القاسي الغضوب^(١)، والابن بالإله الطيب الصالح، وهذا

(١) يتم بنعمة المسيح تجهيز كتاب عن المفهوم الأبائي للغضب الإلهي.

يفسد فهمنا لمساواة الابن للآب في كل شئ، في الجوهر والإرادة والعمل، ويتجاهل محبة الآب للإنسان، ويغفل دور الروح القدس - كأقنوم له نفس الجوهر الواحد مع الآب والابن - يتجاهل دوره في التدبير الخلاصي.

فغضب الله المعلن على جميع فجور الناس وإثمهم^(٢)، حسب تعبير القديس بولس، هو غضب الثالوث القدوس، وليس غضب الآب فقط.

وصفح الله عن البشرية، بذبيحة المسيح الخلاصية، هو عمل ثالوثي أيضاً، وليس عمل الابن فقط.

والعمل الخلاصي هو يخلصنا نحن البشر، ولا يوجد مشكلة لدى الله أتى المسيح ليحلها.

ومن المؤكد أن الله يغفر لنا مجاناً، فهو لا يطلب أي تعويض. ولكن الابن الوحيد، بإرادته، ومسرة أبيه، والروح القدس "أسلم ذاته فداءً عنا، إلى الموت الذي تملك علينا، هذا الذي كنا ممسكين به، مبيعين من قبل خطايانا"^(٣).

(٢) "لَأَنَّ غَضَبَ اللَّهِ مُعْلَنٌ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ فُجُورِ النَّاسِ وَإِثْمِهِمْ، الَّذِينَ يَحْجِزُونَ الْحَقَّ بِالْإِثْمِ" (رو ١: ١٨).

(٣) القديس الباسيلي القبطي.

٢- ونرفض كذلك، الآراء التي تخيلت صراعاً بين العدل والرحمة في الثالوث، وكأن الله قد وضع نفسه في مأزق، ألزمه، وفرض عليه التجسد والموت لحل هذا الصراع. فقد تعلمنا من آباءنا أن عدل الله رحيم، ورحمة الله عادلة (البابا شنودة الثالث).

٣- ونرفض فكرة دفع الفدية للشيطان^(٤)؛ لكي يحررنا^(٥).

(٤) "فأنا أسأل لمن دُفعت (الفدية)؟ ولماذا؟ إذا قلنا لإبليس، فيا للعار أن اللص يحصل ليس فقط على فدية من الله، بل فدية هي الله نفسه! وهذا ثمن باهظ ليدفع إلى طغيانه قبل أن يخلي سبيلنا!" (القديس غريغوريوس النيزينزي).

"كيف يدفع الله الثمن للشيطان المديون؟ كيف لمن هو مديون أن يأخذ ديون؟ فمستحيل أن الشيطان المديون يأخذ ثمن؟، ما الذي سينتفع به الشيطان من أخذه دم المسيح؟" (البابا شنودة الثالث).

(٥) السيد المسيح قدم ذبيحته لله أبيه عن خلاص البشر.

"فَكَمْ بِالْخَرِيِّ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِرُوحِ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلَّهِ بِلا عَيْبٍ، يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَالٍ مَيِّتَةٍ لِتَخْدِمُوا اللَّهَ الْحَيَّ!" (عب ٩: ١٤).
"وَأَسْلُكُوا فِي الْمَحَبَّةِ كَمَا أَحَبَّنَا الْمَسِيحُ أَيْضًا وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِنَا، قُرْبَانًا وَذَبِيحَةً لِلَّهِ رَائِحَةً طَيِّبَةً" (اف ٥: ٢).

لأنه يُقدِّم ذاته ذبيحة إلى أبيه، وليس بالتأكيد لأجل ذاته وفق التعليم المستقيم، لكن لأجلنا نحن الذين كنا تحت نير وثقل الخطية" القديس كيرلس الكبير، السجود والعبادة بالروح والحق، المقالة العاشرة..

٤- كذلك، تلك الآراء التي حصرت فعل الخلاص في عمل الابن فقط.

٥- والآراء التي حصرت عمل الخلاص في الصليب فقط؛ متجاهلة أعمال المسيح الأخرى الخلاصية، وهى التجسد، والتعليم، والشفاء، والقيامة، والصعود، وإرسال الروح القدس، وعمل الروح القدس في الكنيسة، بالإضافة إلى الصليب المجيد طبعًا.



دعوة للتصالح

ليتنا ننفث معاً على عمل المسيح العظيم الخلاصي في أبعاده المتعددة ولا ننحبس في رؤية ضيقة ووحيدة؟ ليتنا نحول التصارع إلى تصالح في شخص ربنا يسوع المسيح، ليتنا نتفاهم، ونتكامل في فهم سر المسيح، ليتنا نتضع قليلاً أمام الذي أخلى ذاته من أجلنا؟ ليتنا نقول أن معرفة ما عمله المسيح فينا بتجسده العظيم، هو سر يفوق العقول، ومعرفة حدوده القصوى غير ممكنة في هذا العالم، ولكننا نرجوها في الحياة الأبدية.

فليكن لنا إيمان بغير فحص. وليكن لنا محبة بلا رياء. واقترب خشوع بلا كبرياء، نحو سر المسيح، الذي ليس له استقصاء. فإله، سر، لا ينتهي الإنسان من فهمه.

لقد قدم الآباء في الشرق والغرب، في القرون الأولى رؤى متنوعة، متكاملة، ويجب علينا أن لا نهملها، ولا نزدري بها، بل نقبل ما يتناسب مع ميراثنا الإيماني، المسلم مرة للقديسين المكتوب في الإنجيل، والمُصلى به في الليتورجيا، والمشهود عنه في تاريخ كنيستنا، من خلال آبائنا وقديسينا.

"وكما سبق أن ذكرت، فإن الكنيسة إذ قد استلمت هذه الكرازة، وهذه الإيمان، رغم أنها (الكنيسة) مبعثرة في العالم كله، إلا أنها تحفظ هذا الإيمان، كما لو كانت تسكن بيتًا واحدًا كما أنها تعتقد بهذه النقاط (في التعليم)، كما لو كانت نفسًا واحدة، ولها ذات القلب الواحد، وتكرز بهذه التعاليم وتعلمها، وتسلمها، بتوافق كامل، كما لو كان لها فم واحد. فرغم أن لغات العالم غير متماثلة، إلا أن مضمون التقليد واحد وهو هو نفسه، لأن الكنائس التي تأسست في ألمانيا: لا تؤمن أو تسلم بأي شيء مختلف، ولا الكنائس التي في أسبانيا، أو التي في الغال، أو التي في الشرق، أو تلك التي في مصر، أو ليبيا، ولا تلك الكنائس التي تأسست في المناطق المتوسطة من العالم. ولكن كما أن الشمس التي خلقها الله، هي واحدة، وهي نفس الشمس في كل العالم، هكذا أيضًا فإن كرازة الحق تضيء في كل مكان، وتثير كل الناس الذين يرغبون أن يحصلوا على معرفة الحق. ولن يُعلم أي واحد من الرؤساء في الكنائس، مهما كان موهوبًا جدًا، من جهة الفصاحة، أية تعاليم مختلفة عن هذه (فليس أحد أنظم من المعلم "المسيح")، ومن الجهة الأخرى لن يستطيع من هو ضعيف في التعبير أن يسبب أي أذى للتقليد. لأن الإيمان لكونه دائمًا واحدًا وغير متغير، فلن يستطيع من له القدرة أن يتحدث عنه

كثيراً، لأن يضيف إليه شيئاً، كما أن من لا يمكنه أن يتحدث عنه إلا القليل، لن ينقص منه شيئاً^(١).

ولنا مثال في ذلك، قديسنا العظيم البابا أثناسيوس الرسولي، عندما كتب عن الخلاص وهو يشرح سر التجسد، في كتابه الشهير "تجسد الكلمة"، لم يهمل تراث سابقه، بل استفاد منهم جميعاً، ولم يتجاهل أي وجه من هذا الميراث الإيماني العظيم. طالما تتفق مع ما استقر في وجدان الكنيسة، وتاريخها، وليتورجياتها.

فأكد في كتاب "تجسد الكلمة" على مبررات التجسد، وأشار إلى:

- تجديد وشفاء الطبيعة البشرية، وإعادة خلق الإنسان.
- معرفة الله، والاتحاد به، إدراك الإنسان لله الآب، واستعادة التبني لله الآب.
- دفع الدين بتقديم الكلمة نفسه ذبيحة مقبولة على الصليب، عن خلاص جنسنا. لأن الموت مرتبط بالخطية كعقوبة.



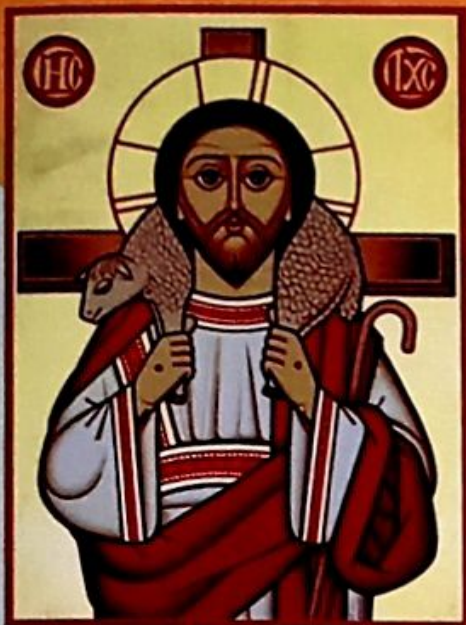
(١) الكتاب الأول من ضد الهرطقات للقديس إيرينيوس، مركز دراسات الآباء، ترجمة د. نصحي عبدالشهيدي ٢٠١٩، (ص ٥٤-٥٥). وهذا الرأي يُفند فكرة الصراع بين الشرق والغرب في العصور الأولى.

يهمنا في فهم ما عمله المسيح معنا أن نعرف:

- ١- أن الخلاص، هو عمل الثالوث كله، فالآب يخلصنا، بالابن، في الروح القدس.
- ٢- أن التجسد، والصليب، والقيامة، كانت من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا.
- ٣- لا يمكن فصل أعمال المسيح الخلاصية؛ فالتجسد مرتبط بالصليب، وبالقيامة، وبالصعود، والجلوس عن يمين الآب، وإرسال الروح القدس المعزي، والأسرار التي تنقل لنا مفاعيل الخلاص وهي: (المعمودية - والميرون - والإفخارستيا - والتوبة والاعتراف).
- ٤- خلاصنا العظيم أظهر لنا، وتذوقنا به، محبة الآب، ونعمة الابن الوحيد، شركة الروح القدس.

أنها دعوة للمصالحة حول المسيح، الذي فيه صالح الله العالم لنفسه ووضع فينا خدمة المصالحة^(١).

(١) "وَلَكِنْ أَكُلُّ مَنْ اللَّهِ، الَّذِي صَالَحَنَا لِنَفْسِهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَأَعْطَانَا خِدْمَةَ الْمُصَالَحَةِ، أَيَّ إِنَّ اللَّهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحًا الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ خَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ، وَوَاضِعًا فِيْنَا كَلِمَةَ الْمُصَالَحَةِ. إِذَا نَسَعَى كَسُفَرَاءَ عَنِ الْمَسِيحِ، كَأَنَّ اللَّهَ يَعْظُ بِنَا. نَطْلُبُ عَنِ الْمَسِيحِ: تَصَالَحُوا مَعَ اللَّهِ. لِأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيئَةً، خَطِيئَةً لِأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بَرًّا لِلَّهِ فِيهِ" (٢كو ٥: ١٨-٢١).



في هذا الكتاب

❖ تفسير ما عمله المسيح ؟

❖ شروحات الآباء .

❖ من هو الإنسان ؟

❖ أوجه ما عمله المسيح معنا وفيينا .

❖ مفاعيل التجسد والفداء .

❖ رفض الهرطقات والمبالغات المتطرفة .

❖ دعوة للتصالح .

❖ مبادئ لفهم عمل المسيح .

www.youthbishops.org
www.coym-youthbishopric.com
www.deaconessfiby.org

f youthbishopric f Deaconess Fiby
f YB News اخبار أسقفية الشباب
f Egyptianyouthbishopric
f مصر امنا - اسقفية الشباب



الاستمع إلى عظات نيافة

الأنبا موسى والأنبا رافائيل
SoundCloud - Telegram

f Bishop Moussa
الأنبا موسى - أسقف الشباب
الأنبا رافائيل - الأسقف العام
عظات الأنبا رافائيل

يطلب من

مكتبة أسقفية الشباب ص.ب ١٣٦ العباسية - القاهرة
موبايل ٠١٢٢٣٥٨٢٨٣٣ - ٠١٢٧٨١١٤٤٥٢
مكتبة بي جوري بمجمع خدمات سان ارساني
(٦٦ شارع الصحافة)

